أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
30 يونيو 2025
20 محرم 1447هـ
العدد 34

الذهب الدامي

مأساة إنسانية تكشف عن العلاقة المدمرة بين الحرب والفقر وغياب الدولة في السودان.. حيث يدفع المدنيون الثمن الأكبر بأرواحهم في سعيهم للبقاء.. كيف نقرأ المأساة في منجم «كرش الفيل»؟

دمٌ لا يُغسل، وخيانةٌ لا تُنسى

تمر علينا ذكرى الثلاثين من يونيو، وبلا شك هو ليس مجرد يوم في الروزنامة، بل يوم تشقّقت فيه الروح السودانية مرتين، في 1989 حين سرق الإسلاميون السلطة بليل وبلاء، وأدخلوا البلاد في نفق من الدم، وفي 2019 حين خرج الشعب بالملايين يهتف بسقوطهم، حاملاً في صدره جراح ثلاثين عامًا، وقبرًا جماعيًا شقوه في صدور الناس مرتين.

في الأولى، لم يكن انقلابًا فقط، بل كان بداية خراب شامل انقضّ الإسلاميون على الديمقراطية الوليدة، بوجهٍ متوضئ وسكين في اليد أطلقوا دولة التمكين، ومزّقوا أوصال المجتمع، وأشعلوا الحروب، ونهبوا الأرض، وسمّموا مؤسسات الدولة حتى النخاع، أسّسوا جهاز أمن فاشي، وجيشًا مخترقًا، ومليشيات تقتل باسم «الجهاد»،

كل شيء تداعى منذ تلك اللحظة. كانوا لا يريدون حُكم السودان، بل امتلاكه. ثم في 2019، ظنّ الشعب أن النهاية قد حانت، خرج الناس في الثلاثين من يونيو، بعد مجزرة القيادة العامة، لا ليندبوا قتلاهم بل ليواجهوا ويعلنوا أن زمن الرعب انتهى، لكن لم تمر سنوات قليلة، حتى انكشفت الخديعة: الإسلاميون الذين تظاهروا بالسقوط، كانوا فقط يُبدّلون الأقنعة والجنرالات والانتهازيين بآخرين.

اشتعلت الحرب، كانت رائحتهم أول ما صعد مع الدخان، هم من غذّوا الانقسام داخل الجيش، هم من نفخوا في نار الفتنة، هم من صنعوا «الباشبوزق» وأطلقوهم علينا، ثم انسحب الجيش، الذي اختار أن يكون دمية طائعة في يدهم تاركًا المدن والقرى لأدوات الخراب التي ربّاها النظام القديم في دهاليز السلطة.

لم يقاتلوا، لم يدافعوا، فقط تركوا الغلابة في وجه الذبح، ثم عادوا الآن يطالبونهم بالتصفيق على أنقاض بلادهم. واليوم، يُطلّ علينا نفسُ الوجه القديم، مكسوًا بغبار الحرب، مزوّقًا بخطاب الوطنية المزيّف جنرالاتٌ يلمّعون سيرهم، ومشايخُ سلطة يتاجرون بالدم، وكل من يبحثون عن غُسل في بحيرات الدماء وركام الجثث، كل من تلطّخ اسمه بالخيانة، والعار والخيبة عاد يحاول أن يغتسل بالدماء المسفوحة، ويتخفّى خلف رايات المجد الزائف.

حفنة من الانتهازيين، الدجالين، الحرامية، تتسابق لاقتناص لحظة البطولة الزائفة، كل من فشل في حياته، أو تلطّخ اسمه، جاء يبحث عن تطهير رخيص وسط جثثنا، يرتدي البدلة، يتغنّى بالمعركة، يزوّر التاريخ... في محاولة بائسة لتجميل عار لا يُغتفر، لكنه لا يدري أن الشعب يدري ويعرف، ويتذكّر، ويشهد..

يعرف من خان، ويعرف من صمت، ويعرف من تواطأ، ويعرف من باع. ولا يدري أيضًا أن هذا الشعب لا يُهزم، حتى حين يُخذل.

إنه يعود من تحت الركام، ويُزيح المجرمين، كما فعل في 2019، وكما سيفعل ثانية – لا محالة.

30 يونيو ليس مناسبة للاحتفال، بل موعدٌ للمحاسبة. موعدٌ لفتح سجلّ الدم، وقراءة الأسماء، فالشعب الذي أردتم إرعابه بالمجزرة الدنيئة تلك فأرعبكم بنهوضه من بين ركام القيادة العامة لن يترك دمًا دون قصاص.

30 يونيو هو موعدُ الشعب ليقول لمن يدّعون المجد: نحن لا ننسى. ولمن يحاولون تزييف البطولة: أنتم مجرّد طبقة طحالب فوق دماء من قاتلوا حقًا. هذا اليوم ليس لكم. هذا اليوم لنا... ولشهدائنا... ولثورتنا التي ما زالت حية تُقاتل.

الشعب الذي هب في الثلاثين من يونيو 2019 يعرف ويعي أن العدو الحقيقي لم يكن سلاحًا فقط، بل فكرة، والقاتل الأول لم يكن جنرالًا، بل مشروعًا شيطانيًا اسمه «التمكين».. لن ينسى أن من أسّس آلة القتل هو من يدّعي الآن أنه ضحيتها.

لن يغفر لمن سلّم البلاد للمليشيات، ثم ارتدى ثوب الحكمة. لن ينسى من باع السودان في 1989، وخطط لخرابه في 2023، ويطمح أن يحكمه في 2025.

هذا اليوم ليس للتذكار، بل للغضب، ليس لمَن تلبستهم الحالة وامتطوا الثورة، بل لمن دفنوا أبناءهم في صمت، ومضوا على طريق الخلاص. وسيظل موعدًا سنويًا لفتح الدفاتر، لا طيّها، موعدًا للمحاسبة، لا للغفران، ولكل من يحاول غسل ماضيه بالدم، نقول: دمنا لا يُغتسل... بل يُدين.

وجهات نظر

على حافة الأفق
العقل السياسي السوداني:
تفكيك الأسطورة وإعادة البناء«3»
د. صلاح عمر
9-10

تحت لافتة «التنظيم»
يُنفَّذ التطهير بصمت
عثمان فضل الله
15-17

إصلاح الشرطة السودانية: نحو نموذج مدني منضبط في خدمة الدولة والمجتمع
طاهر المعتصم
18-19

توجيهات وقرارات خُنفشارية حنفشية
حيدر المكاشفي
25-27

أأيقاظُ بني السودان
طاهر المعتصم
28-29

هل تصلح المحاصصة لبناء وطن؟
محمد عمر شمينا
40-41

الصراع السياسي في السودان في ظل الحرب
حاتم أيوب
42-43

كتاباتي: عن تقوية الشخصية
عثمان يوسف خليل
46-47

مقابلة

نانسي عجاج..
حين يصبح الفنان موقفًا والغناء مقاومة

الغلاف

تقرير
حرب الذهب في السودان: الأرباح، السلطة، والثمن الذي يدفعه المدنيون
4-6

تحليل
الثلاثون من يونيو.. تسقط الحرب ومن يشعلون فتيلها
11-14

تقرير
المتنازعون على جثة وطن يحترق
20-21

مع الحدث
الكنابي.. هامش يصرخ في وجه الدولة
22-24

انتهاكات
الجزيرة تنهار.. مدارس خاوية ومستشفيات مدمرة وحقول بلامزارعين
30-32

تقرير
مشروع الجزيرة.. عُروة صيفية قائظة
33-35

مأساة
دارفور تتجرع فصول المأساة والألم
36-39

تقرير
العقوبات الأمريكية.. عودة الى عزلة النظام المصرفي
44-45

غق جديد
أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

الأخيرة

رياضة

بطولة النخبة تشتعل..
الهلال والمريخ في سباق اللقب تحت ظروف استثنائية!
67-68

حرب الذهب في السودان: الأرباح، السلطة، والثمن الذي يدفعه المدنيون

ملخص

منذ اندلاع الحرب في السودان في أبريل 2023، تحوّل الذهب من مورد اقتصادي إلى محرّك أساسي للصراع، حيث تتقاتل القوى المسلحة للسيطرة على مناجم الذهب، التي أصبحت المصدر الرئيسي لتمويل الحرب وتأمين الولاءات.

رغم أن السودان ثالث أكبر منتج للذهب في إفريقيا، إلا أن العائدات لا تدخل خزينة الدولة، بل تُنهب لصالح الفصائل المتحاربة، في ظل غياب الشفافية والرقابة.

تسيطر القوات المسلحة على الإنتاج والعائدات، بما في ذلك شركة أرياب الحكومية، وتستخدم عائداتها عبر شركات خارجية، وتقارير تؤكد أن الجيش صدّر 50 طنًا من الذهب عام 2024، محققًا أكثر من 4 مليارات دولار خارج القنوات الرسمية.

يخلص إلى أن الذهب السوداني أصبح وقودًا للحرب بدلًا من أن يكون ركيزة للسلام والتنمية. ومن دون رقابة دولية ومساءلة للجهات المتورطة، سيستمر النهب ويتواصل النزيف الإنساني والبيئي.

30 يونيو 2025

التقرير: سودان بيس تراكر (SPT)

منذ اندلاع الحرب في السودان في 15 أبريل 2023، لم يعد الذهب مجرد مورد اقتصادي، بل أصبح محرّكًا محوريًا للصراع. ففي الوقت الذي يُهجّر فيه الملايين، ويُقتل الآلاف، ويهدد الجوع أرواح عدد لا يُحصى من المدنيين، تنخرط القوات الحكومية والميليشيات المسلحة في صراع عنيف من أجل السيطرة على مناجم الذهب، التي أصبحت الآن المصدر الرئيسي لتمويل العمليات العسكرية وتأمين الولاءات السياسية.

يُصنّف السودان كثالث أكبر منتج للذهب في إفريقيا، بعد جنوب إفريقيا وغانا فقط. ومع ذلك، لا تُسهم هذه الثروة في تعزيز خزائن الدولة أو تمويل مشاريع التنمية، بل يتم نهبها وتحويلها إلى جيوب الفصائل المتحاربة، في ظل انهيار مؤسسي وفساد ممنهج.

وعلى الرغم من النشاط الواسع في قطاع التعدين، لا تزال الأرقام الدقيقة للإنتاج غير متاحة. ووفقًا للمنقبين والمسؤولين الحكوميين، يُهرّب معظم الذهب المستخرج في السودان إلى خارج البلاد، بعيدًا عن الرقابة الرسمية والشفافية المالية.

الإنتاج والسيطرة العسكرية

منذ اندلاع الحرب في السودان، خرجت ثماني ولايات من دورة إنتاج الذهب، ولم يتبقَ سوى ست ولايات – وهي التي كانت نشطة قبل اندلاع النزاع – لا تزال تنتج الذهب. وتُعد ولايات نهر النيل، الشمالية، والبحر الأحمر من أبرز هذه الولايات.

تُعتبر مناطق مثل قبقبة في ولاية نهر النيل، ودلقو في الولاية الشمالية، والمناطق الجبلية والساحلية في البحر الأحمر، من أكثر مناطق السودان إنتاجًا للذهب. وتعتمد هذه المناطق اعتمادًا كبيرًا على التعدين التقليدي، الذي يمثل – بحسب التقارير الرسمية – أكثر من 80% من إجمالي إنتاج الذهب في البلاد. ويعمل عشرات الآلاف من المُنقّبين الصغار في هذا القطاع غير الرسمي إلى حد كبير. وعلى النقيض، تُنتج الشركات الحاصلة على امتيازات رسمية نحو 20% فقط من إجمالي الحجم.

وتنشط عدة شركات أجنبية في قطاع الذهب السوداني، إلا أن الشركات الروسية تبرز كأبرز اللاعبين المسيطرين.

ووفقًا لمصادر مطلعة في قطاع التعدين، تسيطر القوات المسلحة السودانية على غالبية إنتاج الذهب – سواء من خلال الاستخراج المباشر أو بشراء الذهب من المُنقّبين التقليديين – مستغلةً سلطتها على طباعة العملة لتمويل هذه العمليات دون رقابة تُذكر. كما تسيطر القوات المسلحة على عائدات الشركة السودانية للموارد المعدنية، وهي الجهة الحكومية الرسمية المسؤولة عن الترخيص والضرائب في أنشطة التعدين.

بالإضافة إلى ذلك، تعمل شركة أرياب للتعدين، أكبر شركة تعدين مملوكة للدولة في السودان، تحت إشراف عسكري. وأفادت مصادر رسمية في بورتسودان بأن عائدات الشركة تُحوّل إلى حسابات بنكية خارجية، ما يثير مخاوف جدية بشأن الشفافية المالية وتحويل الثروة العامة.

كيف يغذي الذهب الحرب؟

في فبراير، صرّح محمد طاهر عمر، مدير الشركة السودانية للموارد المعدنية – الذراع الرقابي لوزارة المعادن – في مؤتمر صحفي أن إنتاج السودان من الذهب لعام 2024 بلغ 64 طنًا، بعائدات قدرها 1.7 مليار دولار.

وقد قوبلت تصريحاته بقلق واسع من قبل العاملين في قطاع الذهب، بسبب الفجوة الكبيرة بين حجم الإنتاج المُعلن والعائدات الفعلية التي استلمتها الدولة. وأضاف عمر أن 52% من ذهب البلاد يُهرّب إلى الخارج عبر قنوات غير رسمية.

إلا أن مصادر داخل وزارة المعادن، تحدثت لـ "سودان بيس تراكر" بشرط عدم الكشف عن هويتها، قدّرت الإنتاج الفعلي للذهب في عام 2024 بنحو 85 طنًا. وأفادت بأن 50 طنًا من هذا الإنتاج تم تصديره من قبل القوات المسلحة السودانية خارج الأطر الرسمية، بعائدات تجاوزت 4 مليارات دولار.

وذكر مصدر أمني في بورتسودان أن معظم هذه الأموال تُستخدم لشراء الطائرات المسيّرة والأسلحة والذخائر، بالإضافة إلى تمويل الولاءات السياسية، والعمليات الإعلامية، وجهود الضغط في الخارج.

وأكد المصدر أن الجيش يُصدّر ذهبه إلى مصر، حيث أنشأ شركة تُدعى "الأفريقية"، يشرف عليها مدير التصنيع الحربي، الفريق أول مرقني إدريس. وتُدار هذه الشركة – حسبما ورد – من قبل رجال أعمال سودانيين مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسة العسكرية.

وفي السياق ذاته، صرّح وزير المالية جبريل إبراهيم في خطاب متلفز خلال شهر فبراير الماضي أن مسؤولين في دولة مجاورة – في إشارة إلى مصر – أخبروه أثناء زيارته لهم بأنهم حصلوا على 48 طنًا من الذهب السوداني في عام 2024.

وفي تطور ذي صلة، أعلن إيهاب واصف، رئيس

شعبة الذهب والمعادن الثمينة باتحاد الصناعات المعدنية المصرية، في بيان صدر في 16 مايو أن صادرات مصر من الذهب والمجوهرات الذهبية بلغت 3.2 مليار دولار في الربع الأول من عام 2025 – وهو أعلى قيمة ربع سنوية في تاريخ البلاد.

ضحايا الذهب

يُعد الشعب السوداني أكبر الخاسرين من هذه الثروة، ليس فقط لأن هذه الثروات الطائلة تملأ جيوب الجنرالات بدلاً من أن تصل إلى خزائن الدولة حيث يمكن أن تُترجم إلى تنمية، وسبل عيش، ورعاية صحية، وتعليم؛ وليس فقط لأنها تموّل حربًا أجبرت أكثر من 10 ملايين سوداني على النزوح وطلب اللجوء، مع انتشار المجاعة في مناطق واسعة – بل أيضًا بسبب الكوارث البيئية والارتفاع الحاد في حالات السرطان في مناطق التعدين. ويعود ذلك إلى استخدام مواد كيميائية خطرة مثل الزئبق والسيانيد في التعدين التقليدي، ما أدى إلى تلوث التربة ومصادر المياه.

وقال أحد سكان ولاية نهر النيل إن تسعة من أفراد أسرته الممتدة، التي تضم 24 فردًا، قد أصيبوا بالسرطان بسبب العيش قرب مناطق التعدين التقليدي.

وبحسب مصدر من الهيئة العامة للأبحاث الجيولوجية في السودان تحدّث إلى "سودان بيس تراكر"، فقد كانت هناك نحو 48 شركة متورطة في استيراد المواد الكيميائية، وخاصة السيانيد، إلا أن معظمها توقّف عن العمل. والآن، تملك شركة "معادن"، التابعة للجيش السوداني، شبه احتكار لاستيراد هذه المواد إلى البلاد.

وأضاف المصدر أن السيانيد كان يُستورد سابقًا من الصين والهند، مشيرًا إلى أن "قبل الحرب، استورد الجيش شحنة ضخمة من الصين".

وقال صاحب شركة لتجارة الذهب في بورتسودان إن الزئبق يُهرّب من النيجر ومالي عبر الحدود الليبية: "بعد الحرب، بدأ في الدخول عبر مجموعات مسلحة من دارفور كانت متمركزة على الحدود الليبية، وتُمارس تهريب المواد الممنوعة والبشر".

وأكد مصدر هيئة الأبحاث الجيولوجية أن الجيش يُعتبر الآن "المورّد الأساسي والوحيد لهذه المواد الكيميائية الخطرة".

ذهب السودان: بين النهب والسلام

تحوّلت احتياطيات السودان من الذهب، التي كانت تُعدّ يومًا ما أملًا في الازدهار الوطني، إلى "لعنة" تؤجّج الصراع المستمر. فبينما تستمر تدفقات العائدات غير المشروعة من تجارة الذهب، تُوجّه موارد ضخمة نحو شراء الأسلحة وتجنيد المقاتلين، ما يُطيل أمد الحرب ويقوّض أي جهود لتحقيق السلام. ومن دون فرض رقابة دولية صارمة على تجارة الذهب في السودان، وفرض عقوبات على الشركات والجهات المتورطة في التهريب، ستستمر الحرب، وسيواصل المدنيون دفع الثمن.

الذهب القاتل : مناجم الموت في السودان المنهار

ملخص

في مشهد مأساوي يلخص واقع السودان المنكوب بالحرب والفقر، لقي 11 عاملًا حتفهم في انهيار منجم ذهب تقليدي بمنطقة «كرش الفيل» شمال شرقي البلاد.

الحادث يسلّط الضوء على الخطر المتزايد في مناطق التعدين الأهلي، حيث يعمل آلاف السودانيين في ظروف بدائية وغياب كامل للرقابة والأمن، وسط سيطرة الميليشيات المسلحة.

في ظل الحرب، تحوّلت المناجم إلى مصدر رزق ملوث بالدم، إذ يُستغل الذهب لتمويل النزاعات بدلًا من إنقاذ المجتمعات.

يعكس الحادث حلقة مفرغة من الفقر، والتهجير، والإهمال، وسط غياب الدولة وتقاعس المجتمع الدولي. يظل الفقراء في السودان يطاردون الأمل في باطن الأرض، حتى وإن ابتلعتهم كما حدث في هويد.

في السودان، حيث يختلط بريق الذهب بغبار الحرب ورائحة الموت، شهدت بئر داخل منجم «كرش الفيل» في منطقة هويد الصحراوية الواقعة شمال شرقي السودان حادثًا مأساويًا، أودى بحياة 11 عاملًا إثر انهيار منجم ذهب، في مشهد يلخص ببشاعة الواقع الذي تعيشه البلاد. هنا، لا يُقتل الناس فقط برصاص الحرب، بل أيضًا تحت أنقاض الطمع والإهمال وغياب الدولة.

مناجم الموت

منذ سنوات، تحولت مناطق التعدين الأهلي في السودان إلى ملاذ أخير للآلاف ممن أنهكتهم الحروب والفقر. تحت حرارة الشمس الحارقة، وفي حُفر عميقة بلا أسس هندسية، يحفر الرجال بأيديهم بحثًا عن حفنة من الذهب. لكن يوم السبت 28 يونيو 2025، لم يُسفر الحفر عن ذهب، بل عن فاجعة.

الانهيار الذي وقع في منطقة تعدين بولاية منكوبة أصلاً بفعل الحرب، لم يكن الأول، ولن يكون الأخير ما دامت الأسباب ذاتها قائمة. روايات شهود العيان تتحدث عن انهيار مفاجئ لطمي الأرض، جرف معه العمال الذين كانوا داخل الحفرة، دون أن تتوفر لهم أي وسيلة نجاة.

ليست الطبيعة وحدها من قتلت هؤلاء العمال. فالحرب التي تمزق السودان منذ أكثر من عام تركت وراءها فراغًا أمنيًا كاملاً. لا وجود لقوانين، ولا للرقابة، ولا لأي جهة قادرة على فرض معايير السلامة.

الميليشيات المتصارعة تسيطر على مناطق واسعة من مواقع التعدين، حيث تُفرض الإتاوات على المعدنين مقابل الحماية المزعومة. ومع انسحاب مؤسسات الدولة، أصبحت الحياة في تلك المناطق قائمة على قانون الغاب.

في السودان، قُدِّر إنتاج الذهب بحوالي 50 إلى 100 طن سنويًا، لكنه ذهب لا يلمع بقدر ما يلطخه الدم. تقارير الأمم المتحدة حذّرت مرارًا من أن جزءًا كبيرًا من هذا الذهب يُستخدم لتمويل النزاعات المسلحة، بدلًا من أن يسهم في تنمية المجتمعات أو إنقاذها من الفقر.

الحادث الأخير يكشف بوضوح تلك الحلقة الجهنمية: حرب تدمر البنى التحتية، فقر يدفع الناس للعمل في التعدين الخطير، انهيارات قاتلة، مزيد من المآسي والدمار الاجتماعي.

من يتحمل المسؤولية؟

في الأوضاع الطبيعية، تُحمّل الحكومات مسؤولية تنظيم قطاع التعدين وضمان سلامة العمال. لكن في السودان، تتلاشى المسؤولية بين حكومة غائبة، وجماعات مسلحة، ومجتمع دولي يقف متفرجًا أمام مشاهد الانهيار البطيء لدولة بأكملها.

الناشطون الحقوقيون يرون أن التقاعس المحلي والدولي عن حماية الأرواح هو امتداد للتجاهل الأوسع لما يحدث في السودان منذ بداية الحرب. لا خطط للإنقاذ، لا دعم للضحايا، ولا حتى تعهدات بتحقيق العدالة لمن سقطوا تحت التراب.

المنجم الذي انهار هذا الأسبوع ليس سوى واحد من مئات المناجم التي تهدد حياة آلاف الأشخاص يوميًا. طالما استمرت الحرب، ستظل أرواح الفقراء في السودان تُسحق بين صخور الذهب وجدران الصراع المسلح.

المشهد أكثر قتامة مما يبدو: بلد يتآكله الجوع، والدمار، والتهجير، ومع ذلك يُواصل الآلاف الحفر في الأرض بأظافرهم بحثًا عن أمل، ربما يأتي، وربما ينتهي بهم الأمر تحت الأنقاض... كما حدث في منطقة هويد، شمال شرق السودان.

علي حافة الأفق

العقل السياسي السوداني تفكيك الأسطورة وإعادة البناء (3)

د. صلاح عمر

ملخص

يتناول هذا الجزء من السلسلة تطور العقل السياسي المرتبط بثورة ديسمبر السودانية، بوصفه عقلًا جديدًا نشأ خارج المؤسسات التقليدية، وتشكّل في الشارع من خلال اللجان والشعارات والاحتجاجات، منذ بدايات الحراك ضد نظام الإنقاذ، وتحديدًا هبة سبتمبر 2013.

أبرز سمات هذا العقل السياسي الجديد أنه أفقي لا هرمي: يرفض الزعامة الفردية ويفضّل القيادة الجماعية عبر لجان المقاومة، لكنه واجه تحديات في الممارسة اليومية.

كما أن العقل السياسي الجديد كذلك احتجاجي لا سلطوي: لم يكن هدف الثورة مجرد الوصول للسلطة، بل تفكيك منظومة الاستبداد، مما انعكس في استمرار التظاهر ضد كل أشكال التسوية غير الجذرية.

يخلص الكاتب إلى أن العقل السياسي للثورة يحمل خصائص إيجابية تؤهله لتأسيس دولة جديدة، لكنه لم يكتمل بعد، ولا يزال في طور التكوين والمراكمة. ويظل السؤال مفتوحًا: هل سينجح هذا العقل في بناء مستقبل جديد، أم سيُحتوى أو يتحول إلى غضب بلا مشروع؟

عقل الثورة المستمرة

ثورة ديسمبر المجيدة لا جدال أنها زلزلت المشروع الأوحد للإسلام السياسي والدولة الدينية في العالم العربي، وأتت بعقل سياسي مغاير لما كان سائداً وأفضنا في سماته في الحلقة السابقة.

والعقل السياسي الخاص بالثورة مؤشراته تقول إنه لم ينتج وعيه داخل المواعين والمؤسسات التقليدية، بل تشكل في الشارع، عبر الاحتجاج واللجان، والشعارات وتفاعلات يومية بين الناس منذ أمد بعيد في حكم الإنقاذ، ووضح ذلك في هبة 2013.

وامتاز هذا العقل بملامح تختلف كثيرًا لما سبقه من سمات للعقل السياسي، ولنا أن نحدد هذه المزايا كأدناه:

- عقل أفقي لا هرمي، إذ أرادت لجان المقاومة أن ترفد الحياة السياسية السودانية بأنماط جديدة تمثلت في القيادات الأفقية دون أن يكون هنالك زعامة واحدة ولا مركز قرار مطلق، بالطبع هذا الاتجاه في الوعي تحدى عقل الزعامة التقليدية في الأحزاب والمنظومات المركزية. الاتجاه الأفقي هذا لم تكن فترة امتحان صوابة طويلة، ولكن أظهر بعض الهنات في الممارسة اليومية، علها تحتاج إلى مراجعات، باعتبار أن أي جديد أو مستحدث في طرائق التفكير حتماً يصطدم بالموروث والموجود.
- عقل احتجاجي لا سلطوي. مؤكد أن الثورة لم تنشأ بهدف الوصول للسلطة فقط، بل لتفكيك الاستبداد وإعادة تعريف الدولة، وجاء سلوك الثوار وفقاً لهذا الفهم في نقدهم الجذري للعسكر والإسلام السياسي والنخب المدنية المتصالحة حينها، وأبدوا تشككهم بأنهم يريدون تدوير السلطة بدل تفكيك بنيتها القديمة، وحافظت لجان المقاومة والتنظيمات الأخرى على مسيراتها المليونية المجدولة لتواصل احتجاجها على التراضي في مسار الثورة.
- عقل (تواصلي) لا خطابي، الثورة أوجدت لغة سياسية جديدة، شعارات مثل (حرية سلام وعدالة) و(تسقط بسو) و(السلطة سلطة شعب.....إلخ)، هكذا أصبحت هذه اللغة تمثل أدوات تحليلية ومواقف سياسية ناصعة.

هذه اللغة لم تكتب في بيانات حزبية أو نقابية، بل صيغت في الشارع من وجدان جمعي مباشر.

وهذا يعبر عن تحول من الخطابة التقليدية إلى العقل التشاركي الحواري، وهنا نستدعي متلازمة الشباب الذي ظل استخدامها يعكس تيرم من استطالات الخطابة (جيب الزيت).

- عقل شبكي لا مركزي، لا يمكن فهم ثورة ديسمبر المجيدة دون فهم دور وسائل التواصل الاجتماعي، في التشبيك القاعدي بين الأحياء والمدن من جهة وبين الأقاليم المختلفة من جهة أخرى، أي أن العقل الجديد يتوزع على أطراف متصلة لا مركز يتحكم على البقية.
- عقل نقدي لا تبريري، معظم الخطابات في الثورة مليئة بالنقد للممارسات السياسية بالأحزاب، العسكر والإسلاميين، هذا الوعي النقدي يعكس نضجاً سياسياً ورفضاً للوصاية.

ولكن يمكن له أن يتحول إلى رفض عام لكل تنظيم سياسي لأن الرفض لم يطالب بإصلاح مؤسسي للحياة السياسية، وهذا قطعاً يعيق البناء السياسي لاحقاً.

- عقل لا أيديولوجي لكنه ذو وعي حاد

لم تتبنَ الثورة مشروعاً أيديولوجياً أحاديًا إن كان يسارياً أو يمينياً، لكنها تبنت قيماً واضحة، العدالة، السلام، المشاركة، احترام الكرامة، والمحاسبة.. إلخ.

وهذا يفتح الباب لعقل سياسي مرن غير مصمت وغير مأزوم بصراعات الأيديولوجيا السياسية المغلقة.

مؤكد أن مزايا عقل الثورة التي حاولنا حصرها لم تكن وليدة لحظه انفجار الثورة، وظلت تسكن أذهان الثوار منذ هبة سبتمبر2013م ، وظل التداول حولها مستفيدين من المعرفة الثورية المستحدثة الموجودة في الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الإجتماعي.

نخلص في هذه الحلقة، بأن العقل السياسي الذي تشكل بعد ثورة ديسمبر ذو مزايا إيجابية عديدة، وأن تشكله لم يصل إلى غاياته لأنه يحتاج إلى وقت ومراكمة ووقفات هنا وهناك حتي يصبح عقلاً حاكماً لا فقط محتجاً.

ويمكن أن نتساءل، هل سينجح عقل الثورة هذا في تأسيس دولة جديدة؟ رغم انقطاعة الحرب، أم سيتم احتواؤه، أو تحويله إلى طامة غاضبة بلا مشروع.

ونواصل في الحلقة القادمة لندفع بعقل الحرب، وإلى أين يقود السودان المنهك أصلاً.

الثلاثون من يونيو.. تسقط الحرب ومن يشعلون فتيلها

ملخص

يستعرض المقال التحليلي «الثلاثون من يونيو.. تسقط الحرب ومن يشعلون فتيلها» تحولات هذا التاريخ في الذاكرة السودانية، بين كونه يوم انقلاب عسكري دمّر البلاد عام 1989، وبين تحوّله إلى رمز للثورة والمقاومة عام 2019.

بعد ست سنوات من إسقاط البشير، تحوّل السودان من ثورة سلمية إلى حرب أهلية مدمّرة، حيث أصبحت الخرطوم وغيرها من المدن أشباحًا، وغابت المواكب، وتحوّلت رموز الثورة إلى ذكريات، فيما لا تزال الأسئلة الحارقة عن الخيانة والانكسار تبحث عن إجابة.

يركّز أن ما حدث منذ 2021 هو ردّة عن مشروع الثورة، أعادت القيم التي خرج الناس لإسقاطها، ويحمّل المسؤولية لتحالفات العسكر والمليشيات، ويتهمهم بتحويل السودان إلى ساحة للموت والدمار.

يتمسك التقرير بروح الأمل: أن ديسمبر ستنتصر، وأن هذا الشعب لن يُهزم مهما بلغت فظاعة الحرب. الثلاثون من يونيو لم يعد مجرد ذكرى، بل يوم للمساءلة والمقاومة، وشعار لثورة لم تُطفأ نارها رغم ركام الحرب.

أفق جديد

في السودان، لا تمر التواريخ دون أن تترك ندوبها أو تبعث آمالها، ويأتي الثلاثون من يونيو كأحد أكثر الأيام التباسًا في الذاكرة الوطنية: يوم بدأ بانقلاب عسكري في 1989 غيّر وجه البلاد لثلاثة عقود، ثم أعاد الشعب صياغته في 2019 كيوم للثورة والرفض الشعبي لحكم العسكر.

لكن بين انقلاب وثورة، وبين حلم الدولة المدنية وكابوس الحرب الشاملة، تعيش البلاد تمزقًا حادًا في الوجدان، فهل ما زالت روح ديسمبر تقاوم؟ وهل بقي في البيت، الشوارع، ما يكفي من الحياة لتُهتف فيها شعارات التغيير؟

يمثل الثلاثون من يونيو نقطة تحول مركزية في التاريخ السياسي السوداني، إذ شهد في عام 1989 صعود نظام الإنقاذ عبر انقلاب عسكري دعمه

التيار الإسلامي، ما أدى إلى ثلاثة عقود من الحكم الشمولي، القمع السياسي، والانهيار المؤسسي.

وفي مفارقة تاريخية، أعاد السودانيون استدعاء هذا التاريخ في 2019 ليجعلوه رمزًا لمقاومة الحكم العسكري ومواصلة الثورة التي تفجرت في ديسمبر 2018.

لكن بعد مرور ست سنوات على إسقاط البشير، وسقوط الشق المدني للانتقال بفعل انقلاب جديد في 2021، دخل السودان مرحلة أكثر تعقيدًا، حرب شاملة تهدد بتمزيق الدولة بالكامل، وتعيد إنتاج العنف تحت غطاء جديد.

ويعود الحديث عن الثلاثين من يونيو، لا بوصفه مجرد ذكرى، بل كعلامة على استمرار معركة طويلة بين قوى الثورة وقوى الردة، بين مشروع دولة مدنية ومخططات عسكرة السلطة، وبين شعب ينشد الكرامة ومنظومة تجره إلى الخراب.

الشر العظم

قبل ست سنوات حوّل السودانيون تاريخ «الشر الأعظم» لزمان الخير المنتظر. الثلاثون من يونيو لم يكن يومًا عاديًا في تاريخ البلد المضطرب. في الثلاثين من يونيو للعام 1989 أعلن العميد في الجيش السوداني عمر البشير، مدعومًا بحزب الجبهة الإسلامية؛ مشروع انقلابه لـ«إنقاذ» الشعب السوداني. خلال ثلاثين عاماً من تسلطها على مصير السودانيين وبلادهم أكدت الإنقاذ على حقيقة أنها كل سوء حدث: شمولية الحزب الواحد، فساد وتحطيم وتكسير لمؤسسات الدولة، عنف منقطع النظير، حروب انتهت بانقسام وتغيير خارطة السودان القديم بذهاب الجنوب لحال سبيل دولته.

مزيدًا من الثورة

بين العامين 1989 و2019 كانت ثلاثون عامًا من الإنقاذ ومن مقاومتها. المقاومة التي تم تتويجها في ثورة ديسمبر، وعبرت عن نفسها في «تسقط بس». في أبريل 2019 سقط «البشير». قُطع الرأس، لكن ما تبقى من الجسد لم ينسَ وظيفته لقهر وقتل الشعب بدم بارد وبسلاح اشتراه الشعب لحمايته، وعند حرم الجيش قتل المعتصمون. أنهى المجلس العسكري المشهد الأجمل في حياة السودانيين عند اعتصام القيادة العامة، ورددت قيادته العبارة «حدث ما حدث».

ما حدث من انقلاب على الثورة ومشروعها الهادف نحو الانتقال المدني الديمقراطي رد عليه «الديسمبريون» بمزيد من الثورة، اختاروا ذات الثلاثين من يونيو ليرددوا في شوارعهم «حكم العسكر ما بتشكر»، «الثورة مستمرة والردة مستحيلة»، مؤكدين على حقيقة واحدة مفادها «الشعب أقوى»، وهي القوة التي أجبرت قيادة المجلس للانحناء للعاصفة والتوقيع على الوثيقة الدستورية، واعتبار الثورة هي مصدر الشرعية والطريق نحو السلطة قبل أن يعودوا للانقلاب عليها لاحقاً في العام 2021.

المقاومة مستمرة

من ظنوا أنهم هزموا الثورة بفض الاعتصام اضطروا لاحقاً للانقلاب عليها بقوة السلاح، وحين عجزوا انقلبوا على بلد كاملة بالحرب، في وقت لا يزال الثلاثون من يونيو عند الديسمبريين هو التاريخ الحاسم، اليوم الذي أخبروا فيه السلطة أن تقتل الثوار لا يعني أنك قتلت الثورة، الثورة باقية ببقاء المؤمنين بها، باقية في جحافل البشر الذين حولوا الخرطوم لساحة مواجهة بسلميتهم المدهشة، باقية حتى باعتراف «المجلس نفسه».

يقول محمد دفع الله، أحد المشاركين في موكب الثلاثين من يونيو في العام 2019 لـ«أفق جديد»، وهو يستدعي ذاكرته: «كان يوماً خالداً في تاريخ مقاومة السودانيين، كانت اللحظة التي أخبرتنا أن ديسمبر منتصرة، وأنه لا توجد قوة في الأرض يمكنها أن تواجه إرادة الشعوب، كانت الخرطوم يومها أجمل من كل أوقاتها السابقة، كنا حزمة واحدة قررنا وضع النهاية للمهازل، لكن يا للأسف فقد قرروا أن يمنحوننا بدلاً عن أحلام السلام والعدالة كوابيس الحرب والموت». وأردف: «رغم ذلك سنقاوم وما دمنا نقاوم حتماً سننتصر».

بين واقعين

في الثلاثين من يونيو 2019 كانت الخرطوم تخرج في كامل ألمها دون أن يسقط من الفتية والصبايا أملهم في صباح الغد. كانت آثار دماء ضحايا فض الاعتصام في الشوارع ما يزال طازجاً، كانت المدينة تتحدى خدمة الإنترنت المقطوعة وتسمع صوتها لكل العالم أن هي ثورة حتى النصر، وأن الشعوب بإمكانها تغيير مجرى التاريخ، كانت الشوارع هي الشوارع «لا تخون».

اليوم الخرطوم ليست هي الخرطوم، الشوارع ليست هي الشوارع، لا قصر يمكن الوصول إليه من أجل تقديم مذكرة المطالبة بالتنحي، الفتية والصبايا ممن نجوا من رصاص الحرب قذفت بهم بعيداً. لم يعد شارع الستين هو شارع الستين وشارع الشهيد عظمة الذي لم يستلق عند المعركة تحول لخراب، لا بشر يمكنهم أن يحتَلوا الشوارع بالهتاف، البيوت التي كانت تخرج منها المياه والأطعمة للثائرين صارت خرابات من أثر الشفشفة، لا حكومة يمكن المطالبة بإسقاطها في سودان الحرب العبثية لا شيء ظل واقفًا على قدميه، ولا أقدام تملك الاستعداد لأن تُغبر من أجل تحقيق الحلم. من انقلبوا على الثورة السلمية قرروا أن يطلقوا رصاص موتهم على شعب كامل، ويحولوا سودان الثورة السلمية لسودان الحرب الأهلية، تغيرت اللغة من أشعار حميد ومحجوب وأغنيات وردي لـ«البل الجغم والفتك»، اختفت معالم شارع الستين، لم تعد هناك مؤسسة ولا مواكب أم درمان، اختفى عن المشهد مجانين «الحاج يوسف»، لم تعد هناك مدرعة شرطة ولا ملصقات ولا صور شهداء تعلقها ديسمبرية على صدرها.

سودان الحرب

في سودان اليوم لا عاصمة يمكن الخروج لشوارعها «الظالمون عادوا من جديد»، لا قصر يمكن للقابع فيه أن يستلم مذكرة، لا قيادة عامة يمكن الاعتصام أمام بواباتها، لا بري ولا العباسية لا شمبات ولا الحلفايا، لا جسور يمكن التهديد بإغلاقها، لا كلاكلات ولا جنون ثوار الجيل الراكب رأس لا أغنيات ولا بمبان الجو مشحون بالرصاص. لا قحاتة باعو الدم ولا حمدوك للشكر أو المطالبة بالسقوط، لا هتاف العسكر للثكنات والجنجويد ينحل لا مواكب في مدني بالقرب من صيدلية الخير، لا انتظار للمدفعية عطبرة، قطار الموت أوقف كل القطارات، لا صور من العقدة المغاربة، ولا من مواكب نيالا والفاشر مشغولة بإن تزيح عن وجهها رمال الموت. للأسف في سودان الحرب لا مواكب للمطالبة بالحياة، فمن يطلب من «عسكري» عدم نهب بيوت يجب عليه حمايتها يختفي في ظروف غامضة.

مواكب الأسئلة

في الثلاثين من يونيو، في عام ديسمبر السادس، وفي عام الحرب الثالث لا «مواكب» في الشوارع ولكن أسئلة بلا نهاية ترى أين أخفيتم البشير الذي أسقطناه ذات صباح؟ الحقيقة أن بشير الحروب لم يعد حاكماً بشخصه ولكن ما زالت تحكمنا قيمه. قد يطرح آخر سؤال وأين حمدان؟ هل صوت السارينا الذي يسبق موكب سيارات قائد الجيش حرمه من الاستماع لهتافات الشارع «ما في مليشيا بتحكم دولة»؟ قد لا يجد الديسمبريون إجابة لأسئلتهم من المكون العسكري المنقلب على أحلامهم. ولكنهم لن يغادروا منصتهم دون أن يطرحوا أسئلتهم على المدنيين. هل ستكون ديسمبر ومواكبها مجرد ذاكرة نستدعيها كما فعلنا من أكتوبر وأبريل؟ أما كان بالإمكان أفضل مما كان؟ يقول آخر: «ستعود الخرطوم وبقية المدن السودانية وشوارعها، لن تستمر الحرب بلا نهاية، ولكن إن أعادوا إليكم الأماكن فمن يعيد الرفاق»؟.

سننتصر

عبارة يرددها ديسمبري على صفحته بالفيسبوك قبل أن يدعو رفاقه لإنجاز موكب «أسفيري» يؤكدون من خلاله أن ديسمبر ولدت لتنتصر، دعونا نخبرهم أن هذه البلاد لن تعود للوراء مهما حدث، نخبرهم بأننا نعرف أن من يرهبون الأطفال ويقتلون الشيوخ ويغتصبون النساء، لصوص المنازل وغرف النوم، لن يجلبوا ديمقراطية وآخر ما يمكن أن يكونوا حراس الثورة.. وإنه لا «كرامة» لسوداني في بلاد تمزقها الحرب، وتضيق بشعبها بأفعال يمارسها الجيش، دعونا نسمعها لهم مرة أخرى «العسكر للثكنات والمليشيات تنحل»، دعونا نخبرهم مرة أخرى فريق الحرب في النهاية مصيره الهزيمة.. هذا الشعب لن يهزم وديسمبر الشعب لن تهزمها الحرب .

في آخر المطاف ستنتصر ديسمبر لشهدائها ولصدق المؤمنين بها، ستنتصر لشعب كامل، وللجنود المؤمنين بجيشهم وللجيش نفسه .

ستنتصر للفاشر، لدنقلا والدمازين، لكادقلي وبابنوسة، لنيالا والضعين، ولسنار وكسلا، ستهزم من يظنون أن السودان معروض للبيع في أسواق الخيانة الدولية. ستنتصر للخرطوم وتعيدها سيرتها الأولى تنظف شوارعها وتكتب لافتة كبيرة: لم يخلق السوداني للهزيمة، سيعيش في أرضه بعزة وكرامة، ولا كرامة أكثر من أن تخلو البنادق التي تقتلنا وتهجرنا من رصاصاتها.. ثلاثون يونيو تسقط الحرب ومن يشعلون فتيلها .

تحت لافتة «التنظيم» يُنفَّذ التطهير بصمت

عثمان فضل الله

ملخص

في مقال تحليلي شديد اللهجة، يصف الكاتب ما يحدث من عمليات إزالة «العشوائيات» في السودان بأنه تطهير اجتماعي ممنهج يُنفذ تحت لافتة «التنظيم»، لكنه في جوهره هدم للعدالة والإنسانية. من الخرطوم إلى سنار والجزيرة، تُهدم البيوت دون إنذار أو بديل، وتُشرّد أسر بأكملها، في استهداف واضح لفئات بعينها – خصوصًا سكان الكنابي الذين ينتمي أغلبهم لغرب السودان.

الكاتب يؤكد أن ما يحدث ليس تخطيطًا عمرانيًا بل جريمة مكتملة الأركان، تُنفذ بصمت، وتُغلف بخطاب تنموي زائف يخفي نوايا عنصرية وتمييزًا جهويًا.

يشير إلى أن السلطة تتجاهل خراب العاصمة ومؤسساتها، وتركز على إزالة أكواخ الفقراء وكأنها الخطر الحقيقي.

يخلص إلى أن ما يجري ليس إعادة إعمار، بل تفكيك منظم للوطن، عبر هندسة سكانية قسرية. وأن السكوت على هذه الانتهاكات ليس حيادًا، بل تواطؤ فاضح سيحاسب عليه التاريخ.

لم يكن مشهد رقبة الجمل عابرًا. لم تكن تلك السيدة التي بكت بحرقة على أطلال بيتها، مجرد ضحية إزالة «عشوائيات»، بل كانت شاهدًا على ما يشبه جريمة مكتملة الأركان. بيتها هُدم دون إنذار، أمام أعين أطفالها، دون بديل، ودون حتى فرصة لإخراج أثاث أو مصحف. لم تكن دموعها استغاثة، بل كانت لعنة شعب تُرك للشتات، يُطرد من أرضه تحت شعارات كاذبة، بينما الوطن كله يتهاوى أمامنا قطعةً قطعة.

وفي الجيلي، رجل قال إنه ضابط معاشي، يروي كيف هُدم سوقه الذي عمل فيه لعقود. صوته كالصدى، يضيع في بلد لا يسمع فيه أحد أحدًا. كان يظن أن خدمته للدولة تشفع له، لكن ما اكتشفه أن الدولة لا تحفظ عهدًا ولا تعرف وفاءً، ولا تفرّق بين من خدمها وبين من لم يسألها يومًا.

الخرطوم خرابة

في قلب العاصمة، لا توجد دولة. القصر الجمهوري نفسه، مقر السيادة والرمز الوطني، خرابة يسكنها الغبار والبوم الليل. الوزارات مدمرة، المؤسسات مهجورة، المدينة بلا كهرباء، بلا ماء، بلا سكان. الخرطوم التي كانت تاج الدولة، أصبحت مدينة جاثية على ركبتيها، يُنهب ما تبقى منها أمام نظر الجميع.

ومع ذلك، لا يبدو أن هذا الخراب يزعج السلطة. عيونها ليست على العاصمة، بل على أكواخ الفقراء. هي لا ترى الخراب في الوزارات، بل تراه في «الكنابي». لا ترى الفوضى في الشوارع، بل في منازل الطين والخشب. الجرافات لا تُوجَّه حيث انهارت الدولة، بل حيث ما تزال الأسر تكافح للبقاء.

سنار تحترق

في ولاية سنار، بلغ الجرم ذروته. أكثر من 14 قرية أُزيلت من الوجود. قرى يعود عمرها لعشرات السنين، بعضها موثق في السجلات الرسمية، وله وجود قانوني. لكن هذا لم يشفع لأهلها. أتت الجرافات، ومعها القرار، وسُوّيت البيوت بالأرض. لا محكمة، لا إنذار، لا تعويض، لا بديل.

أين الدولة؟ وأين القانون؟ وأين أولئك الذين يزعمون أنهم حماة للعدالة والتنمية؟ كيف يمكن لأي سلطة أن تقتلع القرى كما تُقتلع الحشائش، وتدّعي بعدها أنها تبني وطنًا؟ من قال إن إعادة الإعمار تبدأ بإهانة الإنسان، وإزالته كالأثاث القديم؟

ما يجري في سنار ليس تخطيطًا عمرانيًا، بل تطهير اجتماعي صريح. لا يستهدف البناء، بل يستهدف فئة محددة من المواطنين، تُعامل كأنها طارئة، أو متسللة، أو غير مرغوب فيها.

استهداف الكنابي

في الجزيرة، المشهد لا يقل فظاعة. الجرافات تتحرك نحو الكنابي، تلك المجتمعات التي نشأت مع مشروع الجزيرة. أغلب ساكني الكنابي من أبناء غرب السودان، ممن أسهموا بعرقهم في الزراعة، وتاريخهم في المقاومة، وحياتهم في خدمة البلاد. لكنهم اليوم يُطردون، وكأن المطلوب هو إفراغ وسط السودان وشماله من كل من ينتمي للغرب.

هذه ليست مبالغة. من ينظر إلى خريطة الإزالات، يدرك أنها لا تتم عشوائيًا. هناك خط مرسوم، وهناك نوايا مبيّتة. من رسم هذا الخط، هو عقل عنصري صغير، يظن أنه قادر على إعادة تشكيل السودان بالأوامر والقرارات. لكنه عقل مريض لا يعرف السودان.

السودان لا يُرسم على ورقة، ولا يُختصر في قبيلة. التداخل بين غرب السودان ووسطه وشماله أعمق من أن يُمحى بالجرافة. الكنابي ليست تجمعات دخيلة، بل هي نسيج وطني حيّ، يحمل روح السودان، ويجسّد وحدته في أبهى صورها.

عقل مريض

من قرّر أن أبناء الكنابي عشوائيون، هو نفسه من يُبقي على الخرطوم كمدينة أشباح. من يلاحق فقراء رقبة جمل والعزبة في الخرطوم والكنابي، في الجزيرة، هو ذاته من ترك الأسواق تُنهب، والمباني تنهار، والوزارات تغلق. هو عقل يرى في الفقراء عبئًا وفي التنوع خطرًا، هو عقل استئصالي لا يصلح لحكم البلاد لأنه يعيد إنتاج الكارثة أو قل يزيد نيران الوطن حطبًا وزيتًا وبنزينًا، ليزيد من الغبن الاجتماعي والتشظي الوطني.

الدولة لا تُبنى بالجرافات، بل تُبنى بالعدالة. من يهدم بيتًا بلا إنذار، يهدم وطنًا بالكامل. من يطرد أمًا إلى العراء، لا فرق بينه وبين من يقتل. ومن يختار أن يبدأ مشروعه التنموي بهدم البيوت، لا يبني بل يهدم.

ما يحدث الآن ليس مجرد قرارات بلدية، بل هو مجزرة صامتة بحق الإنسان السوداني. والذين يصمتون اليوم، سيلعنهم التاريخ، لأنهم رأوا القرى تُباد وسكتوا. ورأوا الأمهات تبكي ولم يتحركوا، وشاهدوا الخراب، واحتفوا به.

جريمة مكتملة

ما يحدث الآن ليس مشروع إعادة إعمار، بل جريمة مكتملة الأركان تُرتكب تحت غطاء الدولة، وتُنفّذ بأدواتها. لا يملك من خطط لهذه العمليات شجاعة الاعتراف، ولا جرأة المواجهة، فيدسّها تحت شعارات واهية عن «التنمية» و«إزالة العشوائي»، بينما المقصود واضح: إعادة هندسة التركيبة السكانية وفق ميزان القوة والامتياز، لا وفق القانون أو العدالة.

هدم البيوت، وتشريد الأسر، واستهداف فئات بعينها دون غيرها، لا يدخل في باب الإصلاح، بل في باب الانتقام الطبقي والجهوي. ومن يظن أن بإمكانه تفكيك السودان بهذه الطريقة، فليُراجع نهايات من سبقوه.

ما يجري الآن سيُكتب في دفاتر الحساب، لا في دفاتر البلديات. ومن منح الأوامر، ومن نفّذ، ومن بارك، سيُسألون. لأن الهدم بلا قانون، والتهجير بلا بديل، والإذلال بلا مبرر - ليس فقط ظلمًا، بل عدوانًا صارخًا على ما تبقّى من فكرة الوطن.

السكوت لم يعد حيادًا، بل تواطؤًا.

والتفسير لم يعد ممكنًا، فالصورة أوضح من أن تُبرر.

وتحالف بورتسودان هذا - بكل مكوناته - إن استمر على هذا النهج، فلن يُسقطه الخارج، بل سينهار من الداخل، لأنه ببساطة يحفر قبره بجرافاته.

إصلاح الشرطة السودانية: نحو نموذج مدني منضبط في خدمة الدولة والمجتمع

لواء شرطة (م) د. عصام عباس

ملخص

يتناول المقال أزمة مؤسسة الشرطة في السودان وتحولها من جهاز مدني خدمي إلى أداة قمع سلطوي، نتيجة التسييس والعسكرة، خاصة خلال فترات الحكم العسكري، مما أدى إلى فقدان الثقة بين الشرطة والمجتمع.

يؤكد الكاتب أن الشرطة بطبيعتها القانونية مؤسسة مدنية، والانضباط لا يعني العسكرة بل الالتزام المؤسسي بالقانون.

يركز المقال على أن الإصلاح الحقيقي يبدأ بفهم أن الانضباط لا يتطلب صفة عسكرية، بل رؤية إدارية مهنية، ويطرح رؤية إصلاحية شاملة تتضمن: إصلاح قانوني و مؤسسي وإصلاح العقيدة والتدريب و تحسين بيئة العمل.

يخلص المقال إلى التأكيد على أن بناء شرطة مدنية هو جزء أساسي من مشروع الدولة الديمقراطية، وأن العودة إلى جوهر الشرطة كجهاز لخدمة المواطن لا لقمعه، هو خطوة نحو استعادة الشرعية وبناء الثقة المجتمعية.

لطالما مثّلت مؤسسة الشرطة في السودان عنوانًا لتحديات معقدة ترتبط بهوية الدولة، وتوازنها بين سلطة القانون وحقوق المواطنين. فبينما تأسست الشرطة في أصلها على مفهوم الخدمة العامة، تحولت عبر الزمن إلى ذراع من أذرع النظم السلطوية، بفعل التسييس والعسكرة والخلط المتعمد بين النظامية والطابع العسكري. وقد حان الوقت للعودة إلى جوهر مؤسسة الشرطة باعتبارها جهازًا مدنيًا منضبطًا، لا عسكريًا مستبدًا، يستمد سلطته من القانون لا من القوة.

الشرطة: مؤسسة مدنية بطبيعتها القانونية و ا لو ظيفية

يخطئ كثيرون حين يفترضون أن النظامية والانضباط لا يتحققان إلا ضمن أطر عسكرية. فالحقيقة أن النظامية هي سلوك تنظيمي وقانوني يعبر عن الالتزام بقواعد المؤسسة وتوجيهاتها، وليس بالضرورة صفة حصرية للمؤسسة العسكرية. فالشرطة، في التجارب الحديثة، تُعد مؤسسة مدنية تنضوي تحت السلطة التنفيذية، ولها أنظمتها الانضباطية المستقلة التي لا تتعارض مع مبادئ المدنية والحقوق.

في هذا السياق، فإن مدنية الشرطة لا تعني الفوضى، ولا الانتقاص من هيبتها، بل تعني أن الشرطة تؤدي واجبها ضمن قواعد الخدمة العامة، ملتزمة بالدستور، وتخضع للرقابة المؤسسية والمجتمعية، وتحمي الحقوق والحريات لا أن تهددها.

من التاريخ إلى الأزمة: كيف انفصلت الشرطة السودانية عن وظيفتها المدنية؟

تأسست الشرطة السودانية في الحقبة الاستعمارية كجهاز عسكري قمعي وصدر أول قانون منظم لها في العام 1908، وفي العام 1928، شهدت نقلة قانونية كبرى حينما صدر ثاني قوانين الشرطة الذي نص صراحة على مدنية مؤسسة الشرطة، لكن سرعان ما تأثرت بموجات التسييس التي صاحبت الانقلابات العسكرية المتكررة التي أعقبت استقلال السودان. حرصت الأنظمة العسكرية على تجريد الشرطة من ميزتها المدنية، وبرغم أن العسكر لا يعتبرونها مؤسسة عسكرية كاملة الدسم، إلا أنهم يديرونها بعقلية سلطوية ديكتاتورية. ففي عهد الإنقاذ تم تحويل الشرطة إلى جهاز أمني مفرط في التسليح والتسييس في آن واحد، وغدت الشرطة أداة قمع، وأقحمت برامج التدريب العسكري المتقدم ضمن مناهج الكليات والمراكز التعليمية، واستُبدل الانضباط المدني بالنهج العسكري القمعي، ففُقدت الثقة بين الشرطة والمجتمع، وانهارت معها صورة الشرطي كحامٍ للمواطن لا خصمًا له، وصار أقرب للترهيب وبث الرعب منه للأمان ونشر الطمأنينة.

بين النظام والانضباط: من أين يبدأ الإصلاح؟

إن الانضباط الوظيفي لا يرتبط بالبزة العسكرية، بل بالهيكل الإداري، وبنُظم التدريب، والمساءلة، والعقيدة المهنية وغيرها من مطلوبات الإصلاح التي سنتطرق لها لاحقًا. يمكن لأي جهاز مدني – كالشرطة - أن يكون أكثر انضباطًا وتنظيمًا من أي تشكيل عسكري، متى ما توفرت له رؤية مؤسسية واضحة، وهيكل مهني، ونظام مساءلة صارم. إن تحقيق الانضباط لا يستدعي عسكرة الشرطة، بل يتطلب:

· تطوير نظام إداري محكم قائم على أسس مهنية شفافة وقومية.
· تفعيل أنظمة الرقابة الحديثة والانضباط.
· تحديث التدريب ليركز على احترام حقوق الإنسان، والتعامل المجتمعي.
· استعادة إشراف وزارة الداخلية على الشرطة، كجهاز مدني تحت السلطة التنفيذية.

استراتيجية إصلاحية شاملة: بناء شرطة مدنية قوية

رؤية إصلاح الشرطة ينبغي أن تخاطب مكامن الخلل الوظيفي في أشكاله المختلفة وبنهج متكامل، وفي تقديري يمكن أن يتحقق من خلال أربعة مسارات:

1. الإصلاح القانوني: بتعديل قانون الشرطة الحالي لضمان استقلاليتها، وترسيخ مدنيتها والنص على ذلك صراحة، وتعزيز الإشراف المدني عليها.
2. الإصلاح المؤسسي: بمعالجة قضية الترهل الإداري والهيكلي واعادة النظر في الكم الهائل من الرتب الرفيعة العليا بما يتوافق وحجم الشرطة الفعلي والمتوقع مستقبلًا، وفصل المهام الخدمية والجنائية عن القتالية والاستخباراتية، وإنشاء جهاز أمن داخلي مستقل.
3. إصلاح العقيدة والتدريب: عبر تحديث المناهج، وإعادة صياغة العقيدة الشرطية بما يربطها بالقيم الدستورية وحقوق الإنسان، وتأهيل الكوادر بعيداً عن الولاء الحزبي.
4. بيئة العمل والعدالة الوظيفية: بتحسين ظروف العمل، وإعادة الثقة للضباط وغير الضباط عبر شروط وظيفية مرضية، وتأمين صحي، وهيكلة عادلة للأجور.

الخاتمة: الشرطة المدنية هي خيار الدولة الديمقراطية

بناء شرطة مدنية منضبطة ليس مشروعًا إصلاحيًا فحسب، بل هو جوهر بناء الدولة السودانية الحديثة. إن العودة إلى جذر الشرطة كجهاز مدني محايد، يخضع للقانون ويخدم المجتمع، هو ما يمنحها شرعيتها، ويفتح الباب أمام المصالحة بين المؤسسة والمواطن، فمستقبل السودان الديمقراطي يبدأ من إصلاح مؤسساته السيادية، وفي مقدمتها الشرطة، بحيث تتحول من أداة للقمع إلى صمام أمان للمواطنة والحقوق.

المتنازعون على جثة وطن يحترق

ملخص

في مشهد سوداني قاتم، تتجلى مأساة وطن يتهاوى تحت وطأة الحرب والطمع في السلطة، بينما يعاني الشعب الأمرّين من الجوع والتشريد.

تتنازع الأطراف المتحالفة – الجيش والحركات المسلحة – على المناصب في بورتسودان، لا من أجل الكرامة أو المبادئ، بل لأجل امتيازات السلطة.

أدى تعيين رئيس وزراء جديد وإعلانه تشكيل حكومة «تكنوقراط» إلى تفجر صراعات داخلية، حيث تمسكت الحركات بمناصبها كجزء من غنائم اتفاق جوبا، الذي تحول من وثيقة سلام إلى أداة للمحاصصة. تبادلت الأطراف الاتهامات، وخرجت تصريحات تكشف مدى التدهور السياسي، حتى بات التهديد بحرب جديدة أمرًا مألوفًا.

ومع ترجيح كفة الحركات في الاحتفاظ بمناصبها، يتضح أن لا مجال لحكومة مدنية ولا دور للكفاءات، بل استمرار لحكم البندقية، وفي ظل كارثة إنسانية توصف بأنها الأسوأ عالميًا، لا تزال القيادات تتصارع على سلطة لا وجود لها، فوق جثة وطن محطّم.

في وطن لم يتبقَّ فيه من الدولة سوى رماد الحروب، تتصاعد معارك الطموح الشخصي فوق أنقاض المأساة، بلد يعيش التشظي أكثر من الانقسام، حيث يخوض شعبه المقهور حربه اليومية لأجل لقمة تحفظ له ما تبقى من الحياة، بينما يتنازع المتحاربون في مدينة الفاشر حول وجبة توزّع على قارعة «التكايا»، ويشتعل صراع آخر في بورتسودان حول من الأحق بكرسي وزارة المالية، ومن الأجدر بلمعان الذهب في وزارة المعادن!

في خلفية هذا المشهد البائس، تخوض حركات الكفاح المسلح - حلفاء الجيش في حربه ضد الدعم السريع - معركة شرسة داخل معسكر السلطة المؤقتة في بورتسودان، لا يدور الحديث هنا عن «كرامة» أو «وطنية»، بل عن مقاعد وزارية تمنح مكافأة على التحالف لا على المبادئ، وعن اتفاق سلام أصبح مظلة لمغانم السلطة لا مدخلًا للسلام.

معركة الكراسي بلباس الكرامة

بدأت الشرارة حين أعلن رئيس مجلس السيادة تعيين كامل إدريس رئيسا للوزراء، وهو بدوره وعد بتشكيل حكومة «تكنوقراط» غير حزبية. فاندلعت ردود الفعل من داخل معسكر الحركات المسلحة، معتبرة أن اتفاقية جوبا للسلام «خط أحمر» لا يجب الاقتراب منه. واعتبرت مجرد التلويح بتنحية جبريل إبراهيم من وزارة المالية أو إبعاد أبو نمو عن المعادن بمثابة إعلان حرب.

وهكذا تحولت السلطة من وسيلة إلى غاية، وغدت «الكرامة» تعني الاحتفاظ بالامتيازات، و«العدالة» أن تحتفظ حركة العدل والمساواة بوزارة المالية، و«التحرير» ألا يجبر مناوي على مغادرة وزارة المعادن.

حرب التصريحات والضرب تحت الحزام

ردًا على تمسك الحركات بحقائبها الوزارية، اتهم أنصار الجيش قادتها بابتزاز الدولة، بل وذهب بعضهم إلى القول إن القوات المشتركة سلمت مواقع استراتيجية في المثلث الحدودي لقوات الدعم السريع، كوسيلة ضغط على الحكومة في بورتسودان. في المقابل، خرج صديق بنقو، القيادي بحركة العدل والمساواة متهكمًا: «من يظن أنه سيقود السودان بذات العقلية التي أوردته موارد الهلاك فهو واهم»، في إشارة إلى استمرار معركة الضرب تحت الحزام داخل صفوف الحلفاء.

التحالف المتصدع

أظهرت الأحداث في بورتسودان أن الأمر لم يكن يومًا معركة من أجل الكرامة، بل سباقًا نحو السلطة، فرئيس الوزراء الجديد وجد نفسه بين سندان الجيش ومطرقة الحركات، وأحلام التكنوقراط تبخرت أمام سطوة الميليشيات ومطالب المحاصصة.

وتأكد للجميع أن اتفاق جوبا يستخدم كحصان طروادة للوصول إلى الوزارات لا لإنهاء الحرب.

غريق يهدد بالبلل

في مفارقة مؤلمة، خرج قادة الحركات المسلحة من الخرطوم هربًا من أهوال الحرب، ليستأنفوا الحرب ذاتها من بورتسودان. وبلغ التهديد بالحرب حدًا قال فيه أحد قيادات حركة مناوي: «بورتسودان زي بيت مناسبة.. ممكن نفرتق الصيوان ببساطة»، وكأنهم يهددون الغريق بالبلل.

النتيجة: لا مدنية ولا سلام

تقترب الجولة من نهايتها بترجيح انتصار «القوات المشتركة»، واحتفاظ جبريل بكرسي المالية، ومناوي بمنصب المعادن والعون الإنساني، وانحناءة رئيس الوزراء للعاصفة. ليتأكد أن لا مكان لحكومة مدنية ولا موطئ قدم لتكنوقراط، في زمن تدار فيه السلطة بمنطق البندقية.

سخرية البندقية والمجد الزائف

التحالف بين الجيش والحركات المسلحة لم يكن وليد قناعات وطنية، بل نتاج سعي مشترك نحو السلطة منذ انقلاب 25 أكتوبر. واليوم، حين يذكر أنصار الجيش حلفاءهم بأن مشاركتهم تهدف لحصد الوزارات فقط، يرد أنصار الحركات: من هتف بـ«المجد للبندقية»، عليه أن يقبل بمجدنا المغمس بالسلاح.

على جثة وطن

بينما البلاد تواجه أسوأ كارثة إنسانية في العالم. كما وصفتها الأمم المتحدة. ويتساقط الناس بالرصاص، أو بالجوع، أو بالأوبئة، يجلس «حكام الظل» في بورتسودان ليتنازعوا على مقاعد فوق جثة وطن، يتصارعون مثل الضباع، غير مدركين أن هذه «السلطة» - التي يتهافتون عليها - لا وجود لها في الواقع، بل مجرد سراب في صحراء الانهيار الكامل.

إنهم ليسوا رجال دولة، بل أدوات خراب، يخوضون معاركهم الذاتية على جثة وطن وشعب لم يتبق منهما إلا العظام المحطمة والدماء المسكوبة.

الكنابي.. هامش يصرخ في وجه الدولة

ملخص

يشهد إقليم الجزيرة في السودان توترًا كبيرًا إثر قرار السلطات إزالة التجمعات السكنية العشوائية المعروفة بـ«الكنابي»، ما أثار استياء سكانها الذين يرون في القرار تهديدًا لحقوقهم ومصدر رزقهم.

الكنابي، التي يقطنها مئات الآلاف من العمال الزراعيين، تسهم بنسبة 75% في الإنتاج الزراعي، لكنها تفتقر لأبسط مقومات الحياة، وتعيش على هامش الخدمات والبنى التحتية.

تبرر السلطات القرار بالسعي لإزالة «التشوهات» والمخالفات، لكن السكان يصفونه بالظالم والعنصري، متهمين الحكومة باستهداف عرقي ومحاولة لتغيير التركيبة السكانية والاستيلاء على الأراضي.

يطرح ملف العشوائيات تساؤلات عن العدالة الاجتماعية، وحقوق الفقراء في السكن، ودور الدولة في حماية شرائح ظلت لعقود خارج حسابات التنمية.

أفق جديد

قلق واستياء وتوتر بسبب الشروع في إزالة التجمعات السكنية التي تُعرف بـ«الكنابي» والسكن العشوائي بولاية الجزيرة، الأمر الذي يؤثر على التعايش السلمي.

في 19 يونيو الجاري أصدر مدير حماية الأراضي الحكومية بولاية الجزيرة قرارًا ينص على «البدء في إزالة التشوهات والسكن غير القانوني بالمناطق المستهدفة بجميع محليات ولاية الجزيرة»، وطالب «جميع المقيمين في المناطق المستهدفة بترتيب أوضاعهم وإزالة التعديات طواعية خلال 72 ساعة ابتداء من تاريخ الإعلان».

«الكنابي» أكثر من مجرد سكن

محرر «أفق جديد» دخل إلى دهاليز عدد من «الكنابي» بولاية الجزيرة، للوقوف على ردود الأفعال بشأن قرار حماية جهاز الأراضي بالولاية الذي نص على البدء في إزالة السكن غير القانوني.

ويوجد في ولاية الجزيرة أكثر من ألفي كمبو «تجمعات عشوائية» يقطنها عدد كبير من المواطنين وتفتقر لأبسط الخدمات.

ويسهم العمال الزراعيون من سكان «الكنابي» بنسبة 75% في العملية الإنتاجية مقارنة بمساهمة المزارعين بمختلف فئاتهم التي تبلغ 25%، ويحصل العمال الزراعيون على 12% من العائد مقابل 88% للمزارعين.

مشاهدات من الداخل :

آدم هارون، وهو اسم مستعار لدواع أمنية، يسكن كمبو «مكي» بولاية الجزيرة، يقول لـ«أفق جديد»: «تهجير سكان الكنابي قرار ظالم. وتعايشنا مع الناس في سلام وأمان طيلة السنوات الماضية».

وأضاف هارون في حديثه لـ«أفق جديد»: «لا نقبل التشريد وعلى الجهات الحكومية مراجعة قرارها وما يحدث استهداف عنصري على أساس العرق واللون».

وتابع: «نسكن في عشوائيات تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الأساسية، ونعاني من ضعف البنية التحتية وغياب التخطيط العمراني السليم».

وأوضح هارون أن الكنابي تعاني أيضًا من نقص الوصول إلى مرافق الصرف الصحي، ومصادر المياه النظيفة، وخدمات جمع النفايات، والكهرباء.

من جهته يقول إسحاق عبد الله، وهو اسم مستعار لدواع أمنية يسكن كمبو «ود العجوز» بولاية الجزيرة: «ما يُحدث إقصاء متعمد دون مراعاة لسكان الكنابي الذين يعملون في المشروع الزراعي لعشرات السنين».

وأضاف عبد الله في حديثه لـ«أفق جديد»: «تهجير الكنابي قرار ظالم ويحتاج إلى مراجعة. ولن نلتزم الصمت وعلى السلطات الحكومية إيجاد بدائل مناسبة».

من جهتها تقول حليمة إبراهيم «اسم مستعار»، تسكن كمبو «ود اللمين»: «تتعرض لأسوأ أنواع المعاملة دون مراعاة لحقوقنا الأساسية.»

وأشارت حليمة في حديثها لـ«أفق جديد»: «يريدون ترحيلنا من منازلنا وسلب أراضينا دون وجه حق».

وأضافت: «الكنابي تعاني من انعدام المياه الصالحة للشرب والكهرباء والمؤسسات التعليمية في المراحل المختلفة والمرافق الصحية وغيرها».

اتهامات متبادلة وتأجيج الكراهية

ويتهم ناشطون من أبناء ولاية الجزيرة سكان «الكنابي»، وهم مجموعات تقيم في تجمعات عشوائية على أطراف قنوات ري مشروع الجزيرة، بالمشاركة في الحملات الانتقامية وعمليات السلب والنهب والقتل التي نفذتها عناصر الدعم السريع ضد مواطني الولاية إبان سيطرتها على المنطقة في الفترة الماضية.

بالنسبة إلى الأمين العام لمؤتمر مركزية الكنابي، جعفر محمدين، فإن تهجير سكان الكنابي ليست بالمسألة الجديدة، وهي تآمر قديم منذ فجر الاستقلال، ولكن الجديد في الأمر هي ما ارتكب من مجازر في حقها في ظل الحرب الدائرة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع.

وقال محمدين لـ«أفق جديد»: «هناك تهجير ممنهج لسكان الكنابي من قبل حكومة الأمر الواقع بقيادة عبد الفتاح البرهان بعد إبادة سكان الكنابي، والآن يريدون تهجير ما تبقى من السكان».

وأضاف: «سكان الكنابي هم العمود الفقري في السودان عبر مشروع الجزيرة، والمشروعات المروية الأخرى مثل الرهد والسوكي وحلفا الجديدة وغيرها. تهجير سكان الكنابي يعني موت المشاريع الزراعية على رأسها مشروع الجزيرة».

وتابع: «سكان الكنابي أصبحوا ملاكًا ويشكلون 15%من ملاك مشروع الجزيرة، ومحاولة تهجيرهم تعني الاستيلاء على مزارعهم التي اشتروها بحر مالهم».

ومضى محمدين قائلًا: «بالتأكيد هناك تأثير كبير جدًا على التعايش السلمي جراء نشر خطاب الكراهية تجاه المكونات الاجتماعية في وسط السودان».

ورأى «مؤتمر الجزيرة»، (كيان أهلي) أن عملية إزالة السكن العشوائي والتعديات والمظاهر السلبية في مدينة ود مدني الكبرى كان يجب أن تتم وفقًا للأطر القانونية والدستورية الصارمة، مع التأكيد على اتخاذ كافة الإجراءات القانونية المسبقة.

بالنسبة إلى الباحثة الاجتماعية، انعام إبراهيم، فإن إزالة السكن العشوائي له تأثيرات إيجابية وسلبية على التعايش السلمي.

وأضافت إنعام في حديثها لـ«أفق جديد»: «من الناحية الإيجابية، قد يؤدي إلى تحسين المظهر الحضري، وزيادة توافر الخدمات الأساسية، وتقليل الجريمة، ومن الناحية السلبية، قد يؤدي إلى تشريد السكان، وزيادة التوترات الاجتماعية، وفقدان الهوية الثقافية».

مطالبات حقوقية

شدّد بيان صادر عن مؤتمر الجزيرة اطلعت عليه «أفق جديد»، أن تشمل العملية توجيه الإنذارات وتوفير الحلول البديلة المناسبة للشرائح المتأثرة، وذلك بالقدر الذي يحمي حقوق المواطنين ويحفظ كرامتهم ويضمن عدم التعدي على حقوقهم.

وحسب البيان، فإن تلك الإجراءات تعكس حرصًا على إرساء العدالة والشفافية، وتُعد معيارًا عالميًا في التعامل مع ظاهرة العشوائيات، حيث تُراعى الأبعاد الإنسانية والاجتماعية جنبًا إلى جنب مع الأهداف التنموية. وأضاف البيان: «المبادرة يجب أن تتجاوز كونها مجرد إجراءٍ إداري، لتُصبح جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية أوسع للتنمية الحضرية المتكاملة، وهي ممارسة حضرية وهندسية أساسية تتبناها جميع المدن الحديثة والدول المتقدمة حول العالم لضمان النمو المستدام وتحسين جودة الحياة».

ودعت منظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية إلى رصد الانتهاكات والتدخل العاجل لحماية سكان «الكنابي» في ولاية الجزيرة.

كما وجهت دعوة للإعلام الوطني والإقليمي والدولي لتسليط الضوء على ما يحدث في «الكنابي» من ترويع وانتهاكات .

وأكدت التمسك بحقوق سكان «الكنابي» في الأرض والسكن والخدمات والكرامة الإنسانية، ورفضهم لأي محاولات لتغيير تركيبتها السكانية أو طمس هويتهم.

وتواجه المناطق العشوائية (الكنابي) تحديات اجتماعية واقتصادية كبيرة، والفقر هو السمة الأساسية لهذه المناطق، ويعاني سكانها من التهميش والاستبعاد الاجتماعي، مما يحد من فرص التنمية والتطور.

توجيهات وقرارات خُنفشارية حنفشية

حيدر المكاشفي

ملخص

ينتقد الكاتب بشدة أداء رئيس وزراء حكومة الأمر الواقع، كامل إدريس، واصفًا إياه بأنه مهووس بإصدار القرارات والتوجيهات منذ تسنّمه منصبه، دون أن تكون لها ميزانية أو قدرة تنفيذية.

يرى أن ما يفعله إدريس ليس جديدًا، بل هو استنساخ لنهج الإنقاذ القديم في إطلاق الوعود والقرارات الجزافية، التي تنتهي عادة إلى لا شيء. إذ كانت تُطلق لتسكين الأزمات وليس لحلها فعليًا.

يشبّه الكاتب هذه التوجيهات بـ«الخنفشار»، الكلمة التي لا معنى لها، والتي أصبحت ترمز إلى الأقوال الجوفاء. فقرارات إدريس، في رأيه، هوائية، بلا معنى ولا روح، أقرب إلى الدعاية الإعلامية منها إلى الفعل السياسي المسؤول.

يؤكد الكاتب أن الناس لا يحتاجون إلى كثرة التوجيهات، بل إلى قرار حقيقي واحد: وقف الحرب، فبغير السلام والاستقرار، ستظل القرارات حبراً على ورق، أو مجرد «عروض» لا تشبع جائعاً ولا توقف نزيف بلد.

يبدو أن عملية إصدار التوجيهات والقرارات هي إحدى هوايات السيد كامل إدريس، رئيس وزراء حكومة الأمر الواقع المعيّن بواسطة البرهان. بعد أدائه القسم وتسنمه منصبه الهلامي رسميًا انخرط إدريس مباشرةً في زيارات مكثفة لعدد من المواقع والمصالح الحكومية الكائنة في بورتسودان، وحتى الأسواق والمقاهي غشاها وتجول فيها مثل السياح، ومع أي زيارة لأي مرفق كان سيادته يصدر توجيهاً يخص المرفق، وقد أحصيت له خلال يومين فقط من بعد أدائه القسم إصداره لأكثر من ستة قرارات لمواضيع شتى، ثم توالت من بعد ذلك التوجيهات والقرارات عاصفة قرارًا إثر قرار وتوجيهًا بعد توجيه، لا يصبح صباح إلا ويطالع الناس له عدة قرارات وتوجيهات في اليوم الواحد، وكأن الرجل في سباق مع الزمن حتى يتمكن من إصدار أكبر قدر من القرارات والتوجيهات في أقل زمن ممكن، وربما يكون هدفه دخول موسوعة جينيس للأرقام، ولكن من باب الأحداث والوقائع السيئة والمعيبة باعتباره أكثر رئيس وزراء إصداراً للقرارات والتوجيهات غض النظر عن جدواها ونفاذها وناجزيتها، أو لعله يريد أن ينافس حميدتي في هذا المضمار، فحميدتي حين كان يشغل منصب نائب رئيس مجلس السيادة وكان جنرالات كبار في الجيش يؤدون له التحية العسكرية، قال حميدتي مرة متباهياً أنه أصدر (84) قراراً، (قرار في إثر قرار وقرار ينطح قرار) لمعالجة مشاكل الموانئ ومشروعات التنمية بالشرق، فعلى سبيل المثال خلال الأيام الماضية، وبحسب وكالة الأنباء الرسمية للحكومة (سونا)، أصدر رئيس الوزراء كامل إدريس دزينة من القرارات، منها قرار بالربط العاجل لمناطق الإنتاج بالطرق القومية لتيسير حركة التجارة في كل ولايات البلاد. وقرار آخر يقضي بتخفيض أسعار السلع الاستهلاكية الأساسية، وخفض رسومها الجمركية بهدف تخفيف المعاناة عن كاهل المواطن جراء الظروف التي تمر بها البلاد، وقرار ثالث بمُراجعة نِسب القَبول في الجَامعاتِ السُّودَانِية ومُراجَعة رُسوم الدِرَاسة الجَامِعِيّة نسبة للظُرُوفِ الاستِثنَائِية التي تَمُر بها البلاد، كما أصدر سيادته توجيهات رسمية لوزارة التعليم العالي

والبحث العلمي ببدء إجراءات إعادة الجامعات إلى العاصمة الخرطوم، بالإضافة إلى صيانة وحصر الأضرار التي لحقت بالمؤسسات الأكاديمية والمراكز البحثية، نتيجة الهجمات التي تعرضت لها من قبل قوات الدعم السريع، كما وجّه سعادته المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بإدراج دروس ضمن المناهج الدراسية تهدف إلى تعزيز اللحمة الوطنية، ونبذ خطاب الكراهية، وصولاً إلى عملية الاستشفاء الوطني الشامل. كما أصدر توجيهاً إلى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف لحث خطباء المساجد ورجال الدين على نشر ذات القيم عبر الخطب والمواعظ..وحبل القرارات والتوجيهات ما يزال على الجرار، والغريب والعجيب أن كل هذا الكم من التوجيهات والقرارات يصدره رئيس وزراء لم يشكل حكومته بعد والوزارات خالية من وزرائها، وكأنه يتأسى بالمثل المعيب (هو الكلام بفلوس) فتحدثه نفسه الأمّارة بالقرار بأن (قرّر قرّر هو القرار بفلوس)، لتصبح عملية اصدار القرار مثل عملية بيع (قرع ودالعبّاس)، فطفق يكاور القرارات مكاورة، على طريقة المثل الشهير (قرع ود العباس عشرة بقرش وميه هوادة)، قرارات تُرمى كما تُرمى أوراق اليانصيب في السوق: (يلا قرّر.. يلا وقّع.. يمكن واحد منهم يصيب).. أو أن الرجل بالاضافة لكتابيه اللذين لوّح بهما معجب بكتاب (الإنقاذ) يقتبس منه، فخلال العهد المباد كانت قد راجت ظاهرة إصدار قرارات جزافية وإطلاق أقوال مرسلة بصورة مزعجة، لدرجة أن الغراء صحيفة (الرأي العام) خصصت لها باباً يحمل عنوان (أخبار منتهية الصلاحية) أو نحو ذلك، تنشره من حين إلى آخر، ترصد فيه بعض أقوال النافذين التي سبق أن أطلقوها في الهواء الطلق، واعدين ومبشرين، أو متوعدين ومهددين، بأرق العبارات في الحالة الأولى، وبأقساها في الحالة الثانية، ولكن لا تلبث هذه الأقوال إلا قليلاً حتى يبددها الواقع وتهزمها الواقعية التي تفرض مآلاً يفضي إلى معكوس ما عكسته تلك الأقوال الجزافية، إما بانتهاء الوعود والبشريات الواعدة إلى المحصلة صفر، أو أن تؤول التوعدات والتهديدات الراعدة إلى موادعة ومسالمة، بلسان حال قائل (ما أحلى التصافي من بعد التجافي) كما يغني المغني.

فيا سيدنا رئيس الوزراء قراراتك وتوجيهاتك على العين والراس، لكن بالله عليك، أين الميزانيات التي ستنفذ بها هذه القرارات؟ وأين المؤسسات القادرة على المتابعة؟ هل تحارب الغلاء بقرار شفوي؟ هل تعيد الجامعات للخرطوم بتوجيه يُتلى على المذياع؟ هل تخفض الأسعار بجرة قلم على الورق؟ إذا كان الأمر بهذه البساطة والسهولة لما أتيت أنت ولكان غيرك أشطر، بل ما كانت هناك حاجة أصلاً لرئيس وزراء ولا حتى وزراء، المشكلة يا سيدنا فيما بدا واضحاً أنك تعشق (القرار الخُنفشاري)، ذلك القرار الذي بلا معنى ولا روح ولا أثر. تماماً مثل الخنفشار، أتدري ما الخنفشار، وما هي حكايته، الخنفشار يا شيخنا لفظة لم يكن لها أي مدلول ولا معنى في اللغة العربية، إلى أن جاء ذاك اليوم الذي أزمع وأجمع فيه بعض القوم على كشف ادعاءات أحد أدعياء العلم والفتوى وفضح زيفه وأكاذيبه وجهالته التي تمادى فيها، فاتفقوا على أن يأتي كل واحد منهم بحرف كما اتفق، وعندما جمعوا الحروف إلى بعضها شكلت كلمة (خنفشار)، فذهبوا إلى الدعي يسألونه عن الخنفشار، قال بعد أن سمّى الله وحمده، الخنفشار نبات طيب الرائحة ينبت في نواحي اليمن وله خاصية عقد الضرع لدى البهائم فإذا أكلت منه البهيمة انعقد ضرعها فلم يجر حليبها لأيام، ومن يومها دخلت الكلمة القاموس لتأخذ معنى الشيء الذي لا معنى له. وخلاصة الأمر يا سيد كامل أن التوجيه بلا تنفيذ لا يبني دولة. والقرار بلا ميزانية لا يُشبع جائعًا. والخطب الرنانة بلا أثر تساوي صفراً على الشمال. ما أسهل أن تصدر قراراً، وما أصعب أن تنفذه.

الناس لا يحتاجون إلى المزيد من التوجيهات ولا إلى مزيد من القرارات التي تملأ الصحف وتهز قاعات المؤتمرات. الناس والبلد بحاجة إلى قرار واحد حقيقي. قرار يمشي على قدمين ويرتدي حذاء العمل لا قبعة الإعلام يوقف الحرب، أما فيما عدا ذلك فلن تعدو أية قرارات تصدر سوى أن تكون للاستهلاك، أو يتم إصدارها للتخدير بقصد أن تبيع الناس الكلام اللذيذ وتحقن أوردتهم بالأماني الخلب تماماً كما تفعل أي مادة مخدرة حين يفوق متعاطيها من أثر المخدر لا يجد أمامه سوى الوهم والسراب، ولا يقبض منها الناس سوى الريح، وتبقى مجرد قرارات لـ (الشو) والبروز الإعلامي تصلح فقط لوضعها داخل برواز. فإصدار قرار واحد وليس هذا الكم الذي أصدرته يمر بسلسلة من العمليات والمراحل الضرورية التي لابد منها، أولاها مرحلة تحديد المشكلة والإحاطة بكل أبعادها، تليها مرحلة جمع المعلومات، ثم معرفة الحلول الممكنة والمفاضلة بين إيجابيات وسلبيات كل حل، ثم اختيار الحل الأفضل، وأخيراً إصدار القرار. أما ما أصدرته من قرارات مفارقة بالكلية للمنهج العلمي الذي تدعيه فلا توصيف لها غير أنها قرارات خنفشارية حنفشية هوائية.

أأيقاظُ بني السودان

طاهر المعتصم

ملخص

يستعرض الكاتب مشاهد متفرقة من مأساة الواقع السوداني، بدءًا بكارثة منجم الذهب قرب بورتسودان، التي أودت بحياة 50 من عمال التعدين الأهلي، وسط صراع سياسي محتدم حول وزارة المعادن بين الموقعين على اتفاق جوبا، في ظل غياب المحكمة الدستورية المرجعية.

ويرصد تصاعد الخلافات داخل الحركة الإسلامية بين مجموعات كرتي وهارون من جهة، وإبراهيم محمود ونافع من جهة أخرى، مع تحريض ضد كمال عمر بسبب موقفه من الحرب، ما يعكس تفككاً سياسياً وأخلاقياً في أوساط الإسلاميين.

رغم ظلال الحرب، انطلقت امتحانات الشهادة السودانية في الداخل والخارج، في مشهد صامد يعكس إصرار السودانيين على التعليم، رغم حرمان الآلاف من الطلاب بسبب النزاع.

يخلص النص إلى دعوة عاجلة لمجلس السيادة ورئيس الوزراء إلى معالجة مشكلات اتفاق جوبا، وتفادي الاصطفاف الجهوي، عبر مشروع وطني جامع، يعيد بناء الوحدة والنسيج الاجتماعي، خاصة في ظل تحذيرات أمريكية بأن السودان قد يكون الساحة القادمة للصراع.

على مقربة من بورتسودان، ما بين مدينتي هيا وعطبرة لقي 50 من عمال التعدين الأهلي مصرعهم، إثر انهيار صخري في منجم يعملون به، فشلت كل المجهودات في إنقاذهم، تغمدهم الله بواسع رحمته. في الجانب الآخر، وزارة المعادن المسؤولة عن النشاط التعديني، محل صراع بين الموقعين على اتفاق جوبا، في أخطر تصاعد للخلافات من أجل المناصب الوزارية التي تدر كمًا وفيرًا من المال.

والغائبة الحاضرة هي المحكمة الدستورية المغيبة، التي يفترض أن تفسر الاتفاقات الدستورية، فتتصاعد لغة الكلام، وترتفع التهديدات، وتنطلق التصريحات عن تكوين مليشيات جديدة في دولة مجاورة، بحثًا عن مجد البندقية.

في مشهد آخر ينقله شهود عيان، يحتدم صراع الأخوة في جماعة الحركة الإسلامية، مجموعة علي كرتي وأحمد هارون، ضد إبراهيم محمود ونافع، في تنويرات داخلية تظهر ملامح معركة كسر العظم، ولإخوان الأمس تجربة خلال حكمهم للسودان، في المفاصلة في العام 1999، لا يستغرب المراقب في ما يحدث بينهم الآن، غير غياب لمسات مذكرة العشرة ودينونة السلطة كاملة لهم وقتها.

ولا تكتمل المشاهد المخيفة في بلاد العجائب، إلا بتحريض تناقلته مواقع التواصل الاجتماعي من إخوة الأمس، ضد أخيهم السابق كمال عمر المحامي القيادي بالمؤتمر الشعبي، ليس لسبب إلا تباين الرؤى حول الحرب السودانية التي دخلت عامها الثالث.

رئيس الوزراء المعين بعد اكتمال الشهر الأول لتسميته، وإعلانه عن حكومة مدنية، وجد نفسه في أتون صراعات الشركاء والحلفاء، في اتفاق جوبا، بعضهم يقول لم نشاور في تعيينه، وبعضهم يلوي عنق النصوص الواردة في الاتفاقات المنتهي أمدها الأول، ليضمن نفس المناصب التنفيذية السابقة، عبر ممارسة الضغط الذي يصل مرحلة الابتزاز، والإعلام الموجه جزء من هذا الصراع، ويغيب الإعلام المهني، عبر تقييد حركة القنوات الفضائية في بورتسودان، ليفقد رئيس الوزراء ميزة تفضيلية وأنوارًا كاشفة.

وقد حسمت الوساطة الجنوب سودانية الجدل حول توزيع أنصبة السلطة باتفاق «جوبا». حيث أكد ضيو مطوك نائب رئيس الوساطة الجنوب سودانية في تصريحات لـ(الشروق) أن الاتفاق يمنح جميع أطرافه حق المشاركة في نسبة 25 %.

وسط هذه العتمة انطلقت الأحد 19 يونيو 2025، امتحانات الشهادة السودانية، في السودان ومصر وتشاد. عشرات الآلاف من الطالبات والطلاب أدوا امتحاناتهم، وسط دعوات وترقب أولياء الأمور، رغم الأسف على حرمان آخرين بسبب الحرب، لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

والخبر الثاني إعلان هدنه لمدة أسبوع في الفاشر عاصمة شمال دارفور المحاصرة من قبل الدعم السريع، حتى أكل بعضهم صفق الشجر، نجحت اتصالات الأمين العام للأمم المتحدة في إنفاذ الهدنة، وانتشرت مشاهد لدخول شاحنات صندوق الغذاء العالمي.

على عسكري مجلس السيادة الانتقالي ورئيس الوزراء، معالجة مشكلات اتفاق جوبا بحكمة تحفظ وحدة السودان، وتمنع الاصطفاف الجهوي، وإطلاق برنامج مصالحه وطنية، تحفظ نسيج البلاد الاجتماعي، وتوسعة الفضاء المدني، فحديث وزير الخارجية الأمريكي في توقيع اتفاق سلام الكونغو ورواندا، عن أن القادم هو السودان، يستوجب الإمساك بزمام المبادرة.

الجزيرة تنهار.. مدارس خاوية ومستشفيات مدمرة وحقول بلامزارعين

ملخص

في ظل الحرب المستمرة في السودان، تحولت ولاية الجزيرة من رمز للزراعة والتعليم إلى مسرح للفوضى والانفلات الأمني.

يروي التقرير حادثة لتلميذة صغيرة فرت من مدرستها خوفًا من اندلاع مواجهات مسلحة داخلها، وهو مشهد يعكس التغير الجذري الذي طال البيئة التعليمية حيث سيطر «المستنفرون» على المدارس، وحوّلوها إلى ساحات عسكرية تُدار بالأناشيد الحماسية ومنطق القوة.

امتد هذا التدهور إلى كل مناحي الحياة، مع تصاعد نفوذ المليشيات القبلية، مثل «درع البطانة» بقيادة أبو عاقلة كيكل، وسط خطاب تعبوي واستقطاب قبلي عنيف.

مشروع الجزيرة الزراعي، الذي شكّل لقرن من الزمان عصب الاقتصاد السوداني ووجدان إنسان المنطقة، فقد أصبح أطلالًا مهجورة. آلاف الأفدنة صارت غير صالحة للزراعة بعد نهب المحاصيل وتخريب البنية التحتية من قنوات ري ومخازن وآليات،ويُقدّر حجم الخسائر بعشرين مليار دولار، في وقتٍ ينتشر فيه الفقر والمرض نتيجة تلوث المياه وتدهور القطاع الصحي.

أفق جديد

قبل انتهاء اليوم الدراسي، عادت التلميذة «نورا» التي تدرس بالمرحلة المتوسطة إلى منزلها وهي في حالة رعب وهلع، مشدوهة العينين، متلاحقة الأنفاس، تروي لأمها «الحرب قامت في مدرسة الثانوي..»!

نقلت التلميذة «نورا» هذا الخبر الخطير ببساطة طفولية لوالدتها، التي لم تستوعب ما يجري، حاولت معرفة الأمر من معارفها القريبين. ومن المصادفات أن كاتب هذا التقرير كان حاضرًا وقتها في منزل تلك التلميذة الهاربة من المدرسة، وشهد بنفسه آثار الفزع الذي حملته معها.

في سودان بعد الحرب، تغير شكل الحياة العامة بشكل لافت، كأحد إفرازات الحرب وتداعياتها على المدنيين، التغيير أصبح محسوسًا بوضوح عندما تصطدم بدواوين ومرافق الخدمة المدنية التي باتت تحت سيطرة» المستنفرين»، الذين يمسكون بكل تفاصيلها، وقلميها الأخضر والأحمر.

شهد محرر «أفق جديد» العديد من الوقائع التي حدثت خلال الأشهر القليلة الماضية، وهي الفترة التي أعقبت دخول الجيش السوداني إلى مدينة ود مدني حاضرة ولاية الجزيرة، وبقية المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة قوات الدعم السريع.

تغيرت البيئة التعليمية وأصبحت بلا لون ولا طعم، لم يكن الخراب قد طال المباني فقط، بل تكسر العمود الفقري لهذه العملية واندمج كثير من الطلاب والتلاميذ في حملة «بل بس»، وتحولوا إلى «مستنفرين» يحاججون مُدرسيهم في قاعات الدراسة بمنطق السلاح وقوته، وأصبحت المدرسة

مثل قلعة عسكرية تتصدرها أصوات الأناشيد العسكرية والجهادية في طابور الصباح.

في إحدى المدارس الثانوية بغرب ولاية الجزيرة دخل المعلم مع أحد الطلاب في نقاش من صميم واجبه الأكاديمي البحت، غير أن الطالب المستنفر اعتبر النقاش إهانة لكرامته، وأبت نفسه إلا أن يرد «كرامته»، فعاد في اليوم التالي مرتديًا زيًا عسكريًا وبمعية آخرين، وشرع يتحرش لفظيًا مع معلمه، وكاد أن يحدث ما لا يُحمد عقباه بالمدرسة.

وكان المنظر العسكري مثيرًا لحفيظة تلاميذ مرحلتي الأساس والمتوسطة بالمدارس المجاورة، ومنهم من فرّ هاربًا إلى منزله لينقل الرعب إلى أسرته التي لم تتعافى بعد من تداعيات الحرب، مثلما ما نقلت التلميذة «نورا» ووصفت ما رأته.

هذا النموذج من تمدد ونفوذ المسلحين الجدد يتكرر يوميًا في الحياة العامة، الشارع، السوق، المدرسة، المستشفى، وعلى خلفية ذلك تتزايد في ولاية الجزيرة حدة الاستقطاب والاصطفافات القبلية داخل الولاية، وتتنوع فيها التشكيلات العسكرية والمسميات ذات الأيدولوجيا المختلفة «مقاومة شعبية، براؤون، درّاعة...». وعقب سقوط الولاية في ديسمبر 2023 تحت سيطرة قوات الدعم السريع بقيادة أبو عاقلة كيكل، وما صاحب ذلك من انتهاكات عنيفة، تعيش الولاية في صفيح ساخن وقوده التحشيد القبلي وخطاب الكراهية والتعبئة العنصرية، وبرزت مليشيا «درع البطانة» مجددًا وبغطاء جديد بعد التصالح مع قائدها المتمرد سابقًا أبو عاقلة كيكل، والتسويق له كبطل للمسرحية وبمسوقات ومطالب على شاكلة «يجب أن يكون للجزيرة قوات تحميها وتدافع عن حقوقها»، أسوة بقوات الدعم السريع وغيرها من المليشيات العسكرية القبلية والمناطقية التي تستثمر في الظروف الاقتصادية للمواطنين، وشظف العيش وحالة الانفلات الأمني، فأصبحت البندقية هي أحد مصادر الرزق.

وعلى خلفية هذا التحشيد العسكري تمت إعادة إنتاج مليشيات «درع البطانة» بقيادة كيكل كأكبر قوة قبلية مسلحة ذات إمكانيات وسيطرة ونفوذ، وجدت الرعاية والدعم والتسليح من قبل بعض القيادات النافذة داخل المؤسسة العسكرية، حيث تتوسع في التجنيد الذي يتم على أساس قبلي في صفوف الشباب والقيادات الأهلية، علاوة على الاستثمار في مآسي الانتهاكات الكارثية التي عاشها مواطنو ولاية الجزيرة إبان سيطرة قوات الدعم السريع عليها، فظلت تمارس أبشع أنواع الانتهاكات العنصرية ضد المواطنين من سكان الكنابي في بعض مناطق الولاية تحت شعارات تطهير ولاية الجزيرة ممن أسموهم بـ«الغرباء» المتعاونين مع الدعم السريع.

تتحدث التقارير العالمية والمحلية عن الدمار الذي لحق بالقطاع الصحي بشكل عام وتأثير الحرب على جودة خدمات الرعاية الصحية الأولية، ومع هذا الانهيار في القطاع الصحي شهدت منطقة غرب الجزيرة انتشارا للحُميات وأمراض مختلفة مثل الملاريا والتايفويد والإسهالات والحمى المالطية، وأرجع أطباء تحدثنا إليهم كل ذلك لتلوث البيئة ومصادر المياه بسبب مخلفات الحرب، ويصادف ذلك التلوث تلوثًا من نوع آخر بسبب تجفيف «ترع وخزانات» المياه بمشروع الجزيرة، وهي سنة راتبة تتبعها إدارة المشروع بحجة تطهير القنوات مع العلم أن هذه «الترع» تعتبر المصدر الرئيس لمياه الشرب لمواطني وحيوانات تلك المنطقة، حتى وصل الأمر إلى ارتفاع أسعار الليمون لزيادة الطلب عليه نسبة لحالة «الطُمام» التي تسيطر على غالبية المواطنين وهو عامل مشترك بين كل هذه الأمراض.

أسهم مشروع الجزيرة في صياغة وتشكيل وجدان إنسان الجزيرة، خاصة أن كل المناسبات السعيدة مرتبطة بموسم الحصاد ومدى نجاحه. يدخل الحاج «محمد عثمان» إلى مخزنه الخاوي، ينظر إلى أركانه الحزينة، ولسان حاله تجسده كلمات الشاعر صلاح حاج سعيد «طوريتك في الطين مرمية.. وكوريتك يابسة ومجدوعة»، وهو منظر لم يعتد رؤيته منذ سنوات طويلة، ولم يكن يحدث أن يخلو المخزن من المحاصيل كما حدث في هذا الموسم، فقد قامت القوات الغازية بنهب الغلال بالكامل وشردت المزارعين وهجّرتهم من قراهم قسرًا، ومنذ قرابة المئة عام وهو عمر المشروع «1925 – 2025» لم يمر على مشروع الجزيرة موسم زراعي غاب فيه المزارع عن حراثة الأرض وفلاحتها، تبلغ مساحة مشروع الجزيرة أكثر من مليوني فدان معظمها أصبحت غير صالحة للزراعة في الوقت الحالي، أتلفتها الحشائش والآفات المتراكمة خلال الموسمين الماضيين، وسط عجز تام من حكومة الأمر الواقع عن القيام بدورها في التحضير للموسم الزراعي الحالي وعدم تطهير القنوات المغلقة بالحشائش.

وتقدر الخسائر بمشروع الجزيرة بنحو عشرين مليار دولار كتقديرات أولية، نتيجة التدمير والنهب الذي حدث لأصول المشروع المتمثلة في قنوات الري والمخازن والورش والجرارات والمباني التي يعود تأسيسها إلى العهد الإنجليزي.

مشـــروع الجزيـرة..
عُـــروة صيفيـــة قـائظة

ملخص

يواجه مشروع الجزيرة موسمًا زراعيًا صيفيًا استثنائيًا وسط تحديات الحرب والنزوح وانهيار البنية التحتية، بعد انقطاع دام عامين، و يعود المزارعون تدريجيًا إلى أراضيهم متسلحين بجهود ذاتية، في ظل غياب رسمي وارتفاع حاد في تكلفة الإنتاج بنسبة 100%، واستمرار تدهور قنوات الري.

رغم تدفق المياه من بعض الخزانات، لم تصل إلى كافة المناطق، مما عرقل انطلاقة الموسم، بينما اضطر المزارعون لدفع مبالغ مالية لتنظيف القنوات.

أطلق تحالف المزارعين حملة «لازم نزرع» لدعم الزراعة وصيانة القنوات، وتم تنفيذ زراعات منزلية وصفرية في بعض الأقسام. لكن التحديات مستمرة، أبرزها فقدان التقاوي الجيدة وتلف الموجود منها، وغياب الدعم الفني والمالي الكافي.

رغم تعهدات محافظ المشروع بتوفير المحروقات والتقاوي مجانًا، رهن المزارعون في قسم المسلمية مشاركتهم بمعالجة مشكلات الري، ما يجعل مصير الموسم مرهونًا بمدى الاستجابة الحكومية العاجلة.

وسيلة حسين

وسط تحديات متتالية وصعوبات جمة، يمضي مزارعو مشروع الجزيرة، هذا الموسم، لابتدار زراعة العروة الصيفية بالمشروع، بعد انقطاع لعامين مُكلفين، بسبب الحرب والنزوح والخراب والنهب الذي طال الغيط وبُنى المشروع الأساسية في أنظمة الري والآليات الزراعية، وبنوك التقاوى ورئاسة المشروع ومكاتبه وأقسامه.

بدأت الاستعدادات للموسم الزراعي بعد الانفراج الأمني النسبي، وعودة الكثير من المزارعين النازحين إلى حقولهم وقراهم، الذين بادروا من فورهم، وبجهود ذاتية، وسط غياب السلطات، لفتح الترع الفرعية، وحراثة الأرض وتحضيرها بكلفة تضاعفت بنسبة 100% مقارنة بالمواسم السابقة، مما أضفى عبئًا جديدًا على المزارع، بحسب ما يقول مزارعون تحدثوا إلى «أفق جديد». مضيفين إنه ما زالت قنوات الري تعاني من الإهمال الذي تراكم منذ عهد النظام السابق، وزادته الحرب الأخيرة سوءًا، ما جعلها غير صالحة للاستخدام الزراعي في كثير من المناطق، يتزامن ذلك مع ارتفاع كبير في أسعار مدخلات الإنتاج.

«وصلت المياه إلى حواشتي يوم الأحد الماضي، رغم أن العديد من الخزانات ما زالت دون صيانة، وهناك أعطال كبيرة في نظام الري، إضافة إلى صعوبات في توفير وشراء البذور، مما يهدد انطلاقة الموسم ويستدعي تدخلًا عاجلًا من الجهات المختصة». يقول المزارع طارق عثمان، ويضيف مخبرًا «أفق جديد» أن المياه تدفقت من خزان 77 بجنوب بركات والممتد من الخزان الرئيسي ومن خزان 57 ترعة المناقل، لكن المياه لم تصل إلى وسط الجزيرة، وهو إخفاق قد يؤثر أو يعيق عمل القنوات الفرعية في «أبو عشرينات».

«تعاون المزارعون في استجلاب آليات لتنظيف أبو عشرين. دفعوا مبلغ (10) آلاف جنيه عن الفرد الواحد نظير خدمة تطهير القنوات». يقول طارق ومن ثم يضيف: «يعول المزارعون كثيرًا على الأمطار لسد فجوة نقص المياه، سيما أن المزارعين يفضلون زراعة الذرة في هذه العروة».

وأطلق تحالف مزارعي الجزيرة والمناقل حملة «لازم نزرع»، وتهدف إلى الدفاع عن الأرض وحث المزارعين على التمسك بها، وتوفير الغذاء ومجابهة الجوع وإصلاح البنية التحتية للقطاع الزراعي، مستهدفة زراعة الخضروات وصيانة القنوات في أقسام المشروع البالغة 18 قسمًا، نفذت منها زراعة 1710 فدان زراعة منزلية و500 فدان زراعة صفرية

في 8 أقسام.

وحددت الحملة التي انطلقت بداية العام 2025، وفق خطة إسعافية، مكتب استرحنا بقسم ود حبوبة في الجزيرة ومكتب الهشابة قسم معتوق في المناقل لزراعة (3) آلاف زراعة صفرية ولزراعة 1500 فدان زراعة منزلية.

بدوره يخبر المزارع محمد زين، أن أغلب التقاوى في السوق نافدة وغير صالحة للبذر والإنبات، وتتعرض لظروف تخزين سيئة. ويقول مخبرًا «أفق جديد» أن المزارعين فقدوا تقاويهم المولدة محليًا بسبب الحرب والنزوح، مثلما فقدوا آلياتهم الزراعية الخاصة. «نحاول البداية من الصفر ولم نتلقَ مساعدات من أية جهة حتى الآن». ويضيف يائسًا: «التقاوى فاسدة ولن تكون إنتاجية هذا الموسم عالية».

ودعا محافظ مشروع الجزيرة، بحسب وكالة سونا للأنباء، إدارة الري إلى ضرورة تحريك آليات الحفر بصورة عاجلة لإزالة الإطماء والحشائش وردم الكسورات لضمان تأمين مياة الري عبر القنوات حال إنسيابها، متعهدًا بتوفير مواد بترولية وتوفير تقاوي الذرة لصنف «طابت» و»ود أحمد» للمزارعين مجانًا، تقديرًا لظروفهم إلى جانب دفع مبلغ خمسة مليار جنيه كمقدم لأصحاب آليات حفار أبو عشرينات لإنجاز عمليات الحفر وفقًا للدورة الزراعية. ورهن مزارعو قسم المسلمية دخول الموسم الزراعي الجديد بمعالجة قضايا الري وتأمين انسياب مياه الري عبر الترع والقنوات.

دارفور تتجرع فصول المأساة والألم

ملخص

تعيش دارفور في قلب مأساة إنسانية متفاقمة جراء استمرار الحرب في السودان منذ أبريل 2023، حيث يتفاقم النزوح والجوع والمرض وسط حصار خانق وانهيار كامل للخدمات.تفرّ آلاف الأسر من مناطق القتال، خاصة الفاشر، إلى أماكن مثل «طويلة»، التي تستضيف الآن أكثر من 1.5 مليون نازح.

المخيمات أشبه بالمعتقلات، يعاني سكانها من شح الغذاء والماء والعلاج، بينما الأطفال والنساء يدفعون الثمن الأكبر، سوء التغذية يحصد الأرواح، والمشاهد من الطريق تفطر القلوب، حيث تُدفن أجساد صغيرة بلا وداع، وتفقد الأمهات أبناءهن دون أن يسلمن من الحزن أو الجوع.

جهود التهدئة تبدو هشة، فرغم إعلان البرهان موافقته على هدنة إنسانية بالفاشر، رفضتها «الدعم السريع» ووصفتها بأنها خدعة عسكرية، في الأثناء، لا يزال العالم صامتًا، والكارثة تتسع، حيث توقفت المساعدات، وأصبح الناس يأكلون أوراق الأشجار وأعلاف الحيوانات للبقاء.

بعد أكثر من عقدين من النزاع في دارفور، ومع تعاقب الحروب، لم يبقَ للسكان سوى التشبث بخيط الأمل، بينما تصرخ الضمائر في وجه صمت العالم.

في دارفور، لا تزال الحرب تكتب فصولها الأكثر وجعًا، وبينما يستمر النزاع في السودان جراء حرب 15 أبريل 2023، تتسع رقعة المأساة في الإقليم الغربي، حيث لا صوت يعلو فوق صرخات الجوع والمرض، ولا مشهد يسبق مشاهد النزوح والموت البطيء، في أرضٍ أنهكتها الصراعات، يعيش مئات الآلاف في مخيمات تفتقر لأبسط مقومات الحياة، بينما يتواصل الحصار، وتمنع الإغاثات، ويترك الأطفال والنساء لمصير غامض.

أقل ما يقال على لسان المعنيين إنها «الكارثة الصامتة» التي يعيشها النازحون في دارفور، حيث تحوّل الألم إلى واقع يومي، والموت إلى خبر عابر، في غياب العدالة والضمير العالمي.

عام ثالث من الجحيم

دخلت حرب السودان عامها الثالث، وما زالت المعاناة الإنسانية مستمرة في إقليم دارفور غربي البلاد، وما زالت أهوال الحرب قائمة، والجوع يفتك بالنازحين بسبب سوء التغذية وسط النساء والأطفال.

وبلغ الوضع الإنساني في مخيمات النازحين في دارفور مرحلة في غاية الخطورة، حيث يفقد الناس حياتهم يوميًا بسبب المرض والجوع والعطش.

ويعيش النازحون في مخيمات أشبه بالمعتقلات، ويعانون من كوارث منسية وآلام ممتدة في ظل انهيار شبه كامل للخدمات الأساسية، بينما يصمت العالم كأنه في غيبوبة كاملة.

يستمر تدفق النازحين بشكل جماعي من مخيمي «زمزم» و«أبو شوك»، حيث وصل إلى ما يقارب 7303 من النازحين إلى منطقة «طويلة»، ليرتفع العدد الإجمالي للنازحين إلى 288706 شخصًا .

تستضيف منطقة «طويلة» الآن أكثر من مليون ونصف نازح، وامتد النزوح إلى مناطق «جبل مرة»، «فنقا» «دربات»، «روكرو»، «قولو»، «نيرتتي» ومناطق أخرى.

محاولات التهدئة

قال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، إنه تواصل مع أطراف النزاع للتوصل إلى هدنة إنسانية في مدينة الفاشر بشمال دارفور غربي السودان.

ومنذ أبريل 2024، فرضت قوات «الدعم السريع» حصارًا شديدًا على الفاشر، ما أدى إلى تدهور الوضع الإنساني، حيث انعدمت بعض السلع والأدوية المنقذة للحياة، فيما دمّر القتال العنيف الأنشطة التجارية والصحية والتعليمية.

وقال غوتيريش، في تصريح صحفي، إنه «يجري اتصالات مع الأطراف المتحاربة في السودان، بغية تأمين هدنة إنسانية تُمكن من معالجة الوضع المأساوي في الفاشر».

ووافق رئيس مجلس السيادة وقائد الجيش عبد الفتاح البرهان، الجمعة 27 يونيو 2025، على طلب غوتيريش الخاص بوقف إطلاق النار في الفاشر لمدة أسبوع بغرض توصيل المساعدات.

لكن مستشار قوات الدعم السريع الباشا طبيق، قال في تغريدة عبر منصة (X) إن أي حديث عن هدنة إنسانية بالفاشر هي محاولة من الجيش لإدخال الأسلحة لقواته المحاصرة بعاصمة ولاية شمال دارفور.

وأضاف: «الحديث عن هدنة إنسانية مؤقتة في الفاشر هو محاولة يائسة من البرهان لإدخال ذخائر ومواد غذائية إلى مليشياته المحاصرة داخل مدينة الفاشر، التي تلتقط أنفاسها الأخيرة بعد أن فشلت كل محاولاتهم العسكرية عبر متحرك الصياد الذي تم سحقه وتدميره في مدينة الخوي».

وأوضح غوتيريش أنه تلقى ردًا إيجابيًا من البرهان حول الهدنة، وشدد على ضرورة إدراك الجيش والدعم السريع مدى أهمية تجنب الكارثة التي نشهدها في الفاشر.

ودعا إلى ضرورة تأمين هدنة لتوزيع المساعدات، على أن يتم الاتفاق عليها مسبقًا بهدف إعداد عملية توصيل ضخمة للمساعدات إلى الفاشر.

رحلة الموت إلى طويلة

يقول أحمد عبد الوهاب، الذي يقيم حاليًا في مدينة الفاو شرقي السودان، إن أسرته وصلت إلى منطقة «طويلة»، سيرًا على الأقدام لمدة 4 أيام متتالية بعد تعقيد الأوضاع الأمنية والإنسانية في مدينة الفاشر.

وأوضح عبد الوهاب في حديثه لـ«أفق جديد»: «بلغني أن أسرتي تعرضت لأسوأ أنواع المعاناة على طول الطريق بعد الرحلة الشاقة مع القليل من الطعام والشراب».

وأضاف: «عاشوا ظروفًا صعبة وفقدوا كل مقومات الحياة الأساسية».

نداء عاجل من الميدان

الناشط في العمل الطوعي والإنساني، أحمد المدني، يقول إن النازحين في دارفور فقدوا جميع الضروريات الأساسية، ويعانون من الجوع والأمراض، ويحتاجون إلى الطعام والمياه النظيفة والمأوى والعلاج والأدوية المنقذة للحياة.

وأضاف المدني في حديثه لـ«أفق جديد»: «هناك حاجة ماسة إلى مساعدات إنسانية طارئة، تشمل المأوى والغذاء والعلاج».

وناشد المدني المنظمات الإنسانية والخيرية تقديم المساعدات الإنسانية العاجلة للمتضررين في مخيمات النزوح في دارفور الذين يعانون من الأمراض والجوع وسوء التغذية خاصة وسط الأطفال.

مآسي تقطع نياط القلب

يقول المتحدث الرسمي باسم منسقية النازحين واللاجئين، آدم رجال: «النساء والأطفال كعادتهم في مواسم الخراب أكثر الفئات تعرضًا للضياع والانكسار، فهم من دفعوا الثمن الباهظ لهذا الصراع العبثي، وضاعت بينهم الأحلام وتبددت الآمال».

ويضيف: «التقيت في طويلة ببعض النازحين ممن فقدوا أبناءهم وهم يسلكون دروب النزوح القاسية، يموتون عطشًا وجوعًا وأجسادهم الصغيرة تدفن في الأرض دون وداع».

ويتابع بالقول: «كانت أمًا مفجوعة حملت في أحشائها جنينًا فيما دفنت بيديها خمسة من أطفالها، ولا تزال تبحث عن زوجها المفقود، بينما ينهشها الحزن والذهول. كيف للغة أن تصف هذه المأساة وكيف للضمير الإنساني أن يصمت عن مشاهد كهذه؟ ما رأيته وسمعته ليس إلا صورة واحدة من عشرات الصور التي تجسد قسوة الحياة وظلم الحرب».

وزاد قائلًا: «وفي الطريق ذاته التقيت بأطفال فقدوا كلا والديهم، تائهين في عراء النزوح لا سند لهم ولا مأوى. لقد خلق هذا الصراع واقعًا هستيريًا تجاوز حدود الإدراك وعطّل كل القيم والسياسات، وفرض علينا ظرفًا استثنائيًا لا يمكن تجاوزه دون وقفة ضمير».

وأوضح آدم رجال، أن استمرار النزوح المتتالي على مدى عقدين وما تبعه من آلام وجراح يستوجب منا جميعًا كمواطنين حريصين على ما تبقى من هذا الوطن.

وقال: «علينا أن نعمل بلا هوادة لإنهاء هذه الحرب المجنونة. آن الأوان أن تصغى أصوات السلاح لأصوات الإنسانية، وأن تتوقف آلة القتل عن طحن ما تبقى من أرواح بائسة تتشبث بخيط الأمل».

عقدان من الدمع والدموع

ووفق النشطاء فإن «سوء التغذية يفاقم معاناة الأطفال في مخيم «كلمة» بجنوب دارفور، حيث يعانون من نقص الغذاء والضروريات الأساسية».

ويواجه الأطفال والنساء الحوامل والمرضعات في المخيم أوضاعًا إنسانية مترديةٍ إثر انعدام وندرة المساعدات الإنسانية.

ومنذ أشهر، ظل سكان مخيم «كلمة» الواقع بمدينة نيالا عاصمة ولاية جنوب دارفور يشكون من انعدام الغذاء والأدوية المنقذة للحياة، لتوقف المساعدات التي كانت تصلهم من قبل المنظمات الدولية.

وفاقمت الحرب من حدة الأزمة الإنسانية في إقليم دارفور، خاصة في مخيمات النازحين، إثر تسبب الاشتباكات الناجمة عنها في تعطيل وصول المساعدات الإنسانية الدولية إلى الإقليم.

وخلفت الحرب الدائرة في السودان منذ منتصف أبريل/نيسان 2023 أكبر أزمة إنسانية على المستوى الدولي، إذ اضطر الناس إلى تناول أعلاف الحيوانات وأوراق الأشجار في دارفور، لعدم توفر الغذاء في مخيمات النزوح البالغ عددها 51 في ولايات دارفور الخمس.

وأُنشئت مخيمات اللجوء في دارفور عندما نزح السكان من القرى إلى المدن الكبيرة بحثًا عن الأمان بعد اندلاع الحرب في الإقليم 2003، بين القوات الحكومية وفصائل مسلحة متمردة.

ويشهد إقليم دارفور منذ 2003 نزاعًا مسلحًا بين القوات الحكومية وحركات مسلحة متمردة، أودى بحياة نحو 300 ألف شخص، وشرد نحو 2.5 مليون آخرين، وفق الأمم المتحدة.

وتقول الأمم المتحدة، إن السودان الذي كان، حتى قبل الحرب، من أفقر بلدان العالم، يشهد «واحدة من أسوأ أزمات النزوح في العالم، وهو مرشح لأن يشهد قريبًا أسوأ أزمة جوع في العالم».

هل تصلح المحاصصة لبناء وطن؟

محمد عمر شمينا

ملخص

يتناول النص بالنقد العميق جدوى المحاصصة في بناء الدولة السودانية، خاصة في ضوء التجربة التي أرستها اتفاقية جوبا، والتي رغم أنها جاءت في لحظة انتقالية حرجة، فقد كرّست مبدأ تقاسم السلطة على أسس جغرافية وفصائلية، لا على معايير الكفاءة والتمثيل الشعبي.

يرى الكاتب أن المحاصصة تحوّلت من وسيلة مؤقتة لضمان مشاركة المهمّشين، إلى آلية دائمة لإعادة إنتاج الإقصاء والانقسام، إذ أصبح الوصول للسلطة مرهونًا برفع السلاح لا عبر تفويض ديمقراطي. ويشير إلى أن اتفاق جوبا أغفل قوى مدنية ناضلت سلميًا لسنوات، ما خلق شعورًا بالإقصاء وعدم العدالة.

ويبرز النص موقف رئيس الوزراء المعين مؤخرًا، الذي لم يشارك في سباق الحصص، وطرح بديلًا يقوم على مشروع وطني شامل، يرتكز على الكفاءة ودولة المواطنة، بدلًا من الاصطفاف الجهوي أو الحزبي.

ويخلص إلى أن المحاصصة، كنظام دائم، تمثل خطرًا على وحدة الدولة، إذ تُجمّد الحياة السياسية، وتمنع التنافس والمساءلة، وتحصر الحكم في النخب الموقعة. وبناء الدولة، في نظر الكاتب، لا يتحقق بتوزيع المناصب، بل بتوسيع فرص العدالة والكرامة والمشاركة الفاعلة، وفق رؤية وطنية تتجاوز منطق الغنائم السياسية.

حين تتكرّس النسب الثابتة كوسيلة لتوزيع السلطة، يصبح السؤال حول جدوى المحاصصة سؤالًا مركزيًا، لا سياسيًا فقط. هل تُبنى الأوطان بتقسيم المناصب أم بتوحيد الرؤى؟

في السودان، شكّلت اتفاقية جوبا لحظة فارقة في مسار الانتقال السياسي، لكنها لم تنجُ من جدلٍ واسع حول طريقة تقاسم السلطة والثروة بين الموقعين. فقد تحوّل مبدأ التمثيل من مطلب للعدالة إلى آلية محاصصاتية جامدة، أعادت إنتاج التهميش في ثوب جديد. وفي خضم هذا الواقع، برزت مواقف متمايزة، كان من أبرزها موقف رئيس الوزراء المعين أخيرًا، الذي لم ينخرط في معركة النسب، بل قدّم رؤية مختلفة تقوم على مشروع وطني (حسب ما فهمت) يتجاوز الأوزان العسكرية والجهوية.

المحاصصة، كمفهوم سياسي، ليست جديدة على التجارب الانتقالية في إفريقيا أو العالم العربي. وغالبًا ما تُقدَّم باعتبارها حلًا مؤقتًا لضمان مشاركة الأطراف المسلحة أو المهمّشة في السلطة. لكن المشكل يبدأ حين تتحوّل تلك الصيغة المؤقتة إلى قاعدة مستدامة، ويصبح التفاوض حول كم نسبة الجهة أهم من النقاش حول شكل الدولة ووظيفتها ومشروعها. في السودان، بدأت ملامح هذا التوجه مع اتفاقية نيفاشا (2005)، وتكرّست لاحقًا في اتفاقية جوبا (2020)، التي جاءت في سياق مرحلة انتقالية حرجة، بعد سقوط النظام البائد، ووسط توازن قوى مضطرب بين المدنيين والعسكريين والحركات المسلحة.

نصّت اتفاقية جوبا على تخصيص نسب محددة في مستويات الحكم المختلفة لصالح الحركات الموقعة، خصوصًا في مجلس السيادة، ومجلس الوزراء، والمجلس التشريعي الانتقالي، وكذلك في الأجهزة الأمنية والخدمة المدنية. هذا التخصيص، رغم أنه جاء استجابة لمطالب تاريخية بالتمثيل العادل، إلا أنه أغفل منطق الحراك الشعبي الذي أسقط البشير، وقفز فوق القوى التي لم تحمل السلاح لكنها ناضلت سلميًا لعقود. ثبات النسبة في جوبا أرسى عرفًا جديدًا أن الطريق إلى السلطة يمر عبر التفاوض المسلح، لا عبر التفويض الشعبي. وهذا ما عمّق شعور الإقصاء عند مكونات عديدة، لا سيما من المناطق غير الممثلة، أو تلك التي لم تتخذ العنف وسيلةً لتحقيق مطالبها.

الفرق كبير بين تمثيل المهمّشين وفق معايير العدالة والمواطنة، وبين تقاسم السلطة على أسس جغرافية أو فصائلية. فحين تُختزل الهوية السياسية في الإقليم أو البندقية، يُهمّش المواطن العادي لصالح النخبة المسلحة، ويتحوّل الفضاء السياسي إلى سوق تفاوضي لا مشروع وطني فيه. المحاصصة في السودان لم تُبنَ على تعداد سكاني أو وزن سياسي أو برامجي، بل على منطق من حضر يوقّع ومن وقّع يحصل. فغابت الكفاءة، وغابت الشفافية، وغابت الرؤية التي توحد الجميع حول هدف جامع.

في هذا المناخ، برزت قلة من الأصوات التي لم تنخرط في منطق النسبة، ومن بينها رئيس الوزراء المعين، الذي احتفظ بمسافة من هذا السياق. لم يدخل في سباق المحاصصات، ولم يتقدم باسم جهة أو قبيلة أو إقليم، بل طرح رؤية تقوم على دولة المواطنة والمؤسسات (حسب خطابه)، وعلى إصلاح سياسي يضع الأسس لا النسب. المحاصصة ليست مشروعًا لبناء وطن، بل وصفة لإعادة إنتاج الانقسام داخل مؤسسات الدولة. النسبة الثابتة تعني وطنًا متجمّدًا، لا يتحرك نحو الأفضل، لأنها تلغي مبدأ التنافس والمساءلة وتُكرّس امتيازات مغلقة يصعب تفكيكها. وإذا كان اتفاق جوبا قد شكّل ضرورة انتقالية في سياقه، فإن تجاوزه بات اليوم من ضرورات تأسيس مشروع وطني يقوم على المشاركة لا الترضية، وعلى الكفاءة لا القسمة. الدولة لا تُبنى بتوزيع المناصب، بل بتوزيع الفرص والعدالة والكرامة. وإذا أثرت بعض الأصوات الصمت أو التماهي مع هذا الخلل، فإن هناك من ظل يطرح بدائل تنطلق من فكرة الوطن الجامع، لا من منطق القسمة الضيقة، وتُعيد السياسة إلى وظيفتها الأساسية خدمة الناس، لا اقتسام السلطة فوق رؤوسهم.

رئيس الوزراء المعين اخيرًا بخلفيته قدّم تصورًا لدولة تحكمها المعايير لا الولاءات، وتُبنى على الكفاءة لا الاصطفاف، وعلى وحدة الإرادة لا تقسيم الحصص. كان صوته ضعيفًا في زحام تفاهمات الغرف المغلقة، لكنه ظل متمسكًا بمشروع وطني يتجاوز منطق الغنائم لكن هل هذا يكفي؟ (حسب ما علمت).

المحاصصة ليست مشروعًا لبناء وطن، بل وصفة لإعادة إنتاج الانقسام داخل مؤسسات الدولة. النسبة الثابتة تعني وطنًا متجمّدًا، لا يتحرك نحو الأفضل، لأنها تلغي مبدأ التنافس والمساءلة وتثبت امتيازات غير قابلة للمراجعة. وإذا كان اتفاق جوبا قد مثّل ضرورة انتقالية في حينه، فإن تجاوز المحاصصة اليوم أصبح شرطًا لأي مشروع وطني حقيقي. الدولة لا تُبنى بتوزيع المناصب، بل بتوزيع الفرص والعدالة والكرامة. وإذا كان بعض السياسيين قد صمتوا عن هذا الخلل، فإن أصواتًا كثر وطنية تستحق أن تُسمع أكثر، لا لأنها تملك العصا السحرية، بل لأنها لا تزال تؤمن بأن السياسة يمكن أن تكون أداة لبناء الوطن، لا لاقتسامه.

الصراع السياسي في السودان في ظل الحرب

حاتم أيـوب

ملخص

يشهد السودان صراعًا سياسيًا حادًا في ظل الحرب الدائرة، تجلّى مؤخرًا في تعيين كامل إدريس رئيسًا للوزراء من قبل قائد الجيش عبد الفتاح البرهان، ما فتح الباب أمام معركة جديدة على السلطة التنفيذية.و يحتفظ البرهان بزمام السلطة منذ انقلابه عام 2021، ويجد دعمًا من جماعات النظام البائد، التي تسعى لعودة نفوذها عبر إطالة أمد الحرب.

في المقابل، هناك قوى مدنية ومسلحة ترفض الحرب وتطالب بإيقافها، بينما يسعى تحالف داعم للحرب لتكريس واقع سلطتين في البلاد، وتوزيع السلطة وفق منطق المكاسب لا السلام.

و يظهر الصراع جليًا في التنافس على الوزارات السيادية، خاصة حول النسبة المخصصة للحركات المسلحة الموقعة على اتفاق السلام.

الصراع الحالي يكشف عن هيمنة عناصر من النظام السابق على ترتيبات ما بعد الحرب، وغياب رؤية واضحة لدى رئيس الوزراء الجديد، الذي وُضع في موقع رمزي بصلاحيات مبهمة، بينما تنغمس النخب في صراع على الحصص والمناصب، يدفع السودانيون ثمن الحرب من أمنهم وكرامتهم، وسط تجاهل لمعاناتهم وصمت لم يُثمر إلا مزيدًا من التمزق.

تشهد تدابير السلطة في بورتسودان في ظل الحرب صراعًا محتدمًا من أجل السلطة التنفيذية عقب تعيين كامل إدريس رئيسًا للوزراء من قبل قائد الجيش عبد الفتاح البرهان .

في ظل الحرب يتمسك قائد الجيش بالسلطة التي قام بإن الانقلاب عليها في عام 2021 قبل تمرد قوات الدعم السريع، وكان نائبه في المجلس السيادي،

وعقب قيام الحرب انقسم الوضع السياسي في البلاد، هناك قوة قوامها مدنية ومسلحة ترفض الحرب وتنادي بإيقافها.

وعند تعند قائد الحرب الخفي في حينها المساند لقائد الجيش منذ الانقلاب، وهم جماعة النظام البائد أو الإخوان المسلمون هم من فقدوا السلطة وفي مصلحتهم أن تمتد الحرب إلى مرحلة عودتهم.

سعت إلى جلب عدد من القوى المدنية والمسلحة وتأليف خطاب ومصطلحات للحرب، وتوسع تحالف دعم الحرب ولقائد الجيش الذي يتماشى مع رغباتهم.

وهناك طرف آخر دعم الحرب وجعلها من أجل الكرامة، فوصل الحال بالسودان إلى قيام سلطتين كأمر واقع كما تشير كل المؤشرات.

جعل الصراع السياسي يحتدم بين تحالف الحرب اليوم من أجل الحصص الوزارية عقب تعيين رئيس وزراء مدني في ظل الحرب يفصل لصلاحياته طابع تكنوقراطي هو تجاوز الصراع للواقع السياسي.

يستمر الصراع الأم في الوزارات السيادية بين من ساندوا الجيش في حرب الكرامة، وأن لا يسمحوا بهضم حصة السلام الذي تم توقيعه قبل الحرب في دولة جنوب السودان.

فإن ملامح الصراع بدايته في النسبة التي حققتها الاتفاقية 25% من السلطة للحركات الموقعة بعد انقسامًا ما بين رافض وداعم الحرب.

ظهور النظام البائد بوضوح في تقسيم السلطة ودراما رئيس الوزراء بصلاحيات مبهمة لا يملك سوى الأمل هي قفزة في ظلمات الحرب، لأن الصراع المحتدم والحوار من أجل تعيين منسوبي المكونات الأخرى ذو صلة بالتنظيم الحاكم هو الاقتراق السلطوي بشكل حرفي كعادة الجماعة، فكل ما يدور في ظل الحرب من صراع سياسي لأجل المكاسب التنفيذية، هو يوضح جليًا الأزمة السياسية السودانية والصراع من أجل الحكم والنفوذ.

من الخاسر في هذه المعركة الوهمية ذات التمويه العالي؟ من يدير المشهد في السودان؟ هم السودانيون جميعًا، ومن ساندوا الحرب ورفض السلام من ملأوا ساحة الحرب بخطاب الكراهية.

من ضحى من أجل مشروعه السياسي لأجل الكرامة التي تفقد في كل صباح لدى السودانيين في أنحاء العالم ولا أحد يبالي. الجميع منهمك في طبخته التي كذبتها رغبة السودانيين في ظل الحرب. معاناتهم وصمتهم لم يكن التناسي حتمًا تتحقق أحلامهم مهما تفنن العدو الحقيقي لهم وللسودان

وتبقى ظاهرة التمرد مقابل الحصة الوزارية والمخصصات حاضرًا.

نعود

العقوبات الأمريكية..
عودة الى عزلة النظام المصرفي

ملخص

يتناول المقال العقوبات الجديدة التي فرضتها الولايات المتحدة على السودان في 27 يونيو 2025، باتهام الحكومة باستخدام أسلحة كيميائية ضد المدنيين، ما يؤدي إلى عزله مجددًا عن النظام المالي العالمي.وهذه العقوبات، بموجب قانون مكافحة الأسلحة الكيميائية، تحظر المساعدات والقروض وتقيّد الصادرات والتراخيص حتى في المجالات ذات الطابع الإنساني.

وعلى عكس فترة العقوبات السابقة (1997–2017) التي واجهها السودان كدولة موحدة ونظام مصرفي مستقر نسبيًا، تأتي العقوبات الحالية في سياق حرب أهلية، وانقسام ميداني، وانهيار شبه كامل للبنية المصرفية، ما يضاعف من أثرها.

يشير المقال إلى أن العقوبات ستنعكس على المغتربين الذين ستُجبر تحويلاتهم على المرور عبر السوق السوداء، ما يرفع كلفة المعيشة ويزيد من التضخم،كما سيعود التجار إلى أساليب غير قانونية لاستيراد السلع، في ظل ضعف وتآكل النظام المصرفي الذي بات عاجزًا عن أداء وظائفه الأساسية.

يخلص كاتب المقال، أنه في ظل غياب حكومة مدنية وانعدام الاعتراف الدولي، ومع تدهور العلاقات الإقليمية، يواجه السودان عزلة مزدوجة سياسية ومصرفية، وبدون أدوات الالتفاف السابقة، تبدو البلاد في مواجهة مباشرة مع انهيار اقتصادي شامل، في واحدة من أشد لحظات الهشاشة منذ استقلالها.

إعداد: محمد أحمد

يوم 27 يونيو 2025 لن يكون يومًا عاديًا في الأروقة المالية بالسودان. فقد نشرت وزارة الخارجية الأمريكية، في السجل الفيدرالي، قرارًا نادرًا وخطيرًا حيث اتهمت حكومة السودان باستخدام أسلحة كيميائية ضد المدنيين، وفرضت عليها سلسلة عقوبات قاسية بموجب قانون مكافحة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية لعام 1991. لكن ما بدا للبعض مجرد بيان قانوني أمريكي آخر، كان في جوهره صفعة ثقيلة لنظام مصرفي متهالك، يعيش منذ سنوات على شفير الانهيار.

ليست هذه المرة الأولى التي يواجه فيها السودان عقوبات أمريكية. بين عامي 1997 و2017، عاش الاقتصاد السوداني في عزلة خانقة، مُنع خلالها من التعامل مع النظام المصرفي العالمي، وخصوصًا بالدولار. توقفت التحويلات، وجفّت الاستثمارات، وباتت التجارة الخارجية معتمدة على وسطاء وتحويلات بالظل. لكن الفرق الجوهري بين الماضي والحاضر أن العزلة السابقة جاءت في ظل دولة موحّدة ونظام مصرفي مستقر نسبيًا، وإن كان سلطويًا. أما اليوم، فإن العقوبات تهبط على بلد منقسم ميدانيًا، ودولة متصدّعة، وبنوك لم تسدد رواتب موظفيها منذ أشهر، وتعجز عن فتح اعتماد مستندي لاستيراد دواء أو دقيق.

قرار الخارجية الأمريكية لم يكن تقنيًا فحسب. فقد منع تقديم أي قروض أو مساعدات مالية حكومية للسودان، وأوقف تصدير السلع والتقنيات ذات الحساسية الأمنية، بل وحتى قيّد بعض أنواع التراخيص التي كانت تستثنى سابقًا. ورغم بعض الإعفاءات المحدودة لأغراض إنسانية، إلا أن السوق تلقّت الإشارة: السودان بات خارج النظام المالي الدولي مجددًا. بالنسبة للبنوك السودانية، فإن هذا يعني مباشرة توقف أي تحويلات بالدولار أو عبر بنوك مراسلة، وتجميد الحسابات المشبوهة أو المرتبطة بكيانات حكومية، ورفض أي ترتيبات تمويل أو شراكات من الخارج.

بالنسبة لمنفذ التحايل المالي الذي استند إليه السودان خلال العقوبات السابقة، فقد لعبت دولة الإمارات، وخصوصًا دبي، دورًا حيويًا. عبر حسابات شركات وسيطة، أعيد تصدير السلع المحظورة، ونُفذت التحويلات المالية بعيدًا عن رقابة العقوبات الأمريكية والدولية. لكن الوضع تغير جذريًا بعد اندلاع الحرب في أبريل 2023، إذ اتهمت الحكومة السودانية الإمارات بدعم قوات الدعم السريع بالسلاح والمال، وتم قطع العلاقات الدبلوماسية وإغلاق القنصليات، وانتهت بذلك آمال السودان في استمرار هذا المنفذ الحيوي. وبذلك فقد السودان بوابته السابقة للتحايل على العقوبات، وأصبح مكشوفًا ماليًا بالكامل، دون حليف إقليمي يوفر له غطاء مصرفيًا.

الانعكاس المباشر للعقوبات سيكون على المغتربين الذين يعتمدون على التحويلات المصرفية لإعالة أسرهم في الداخل، حيث ستتحول غالبية هذه التحويلات إلى السوق الموازي الذي يفرض رسومًا أعلى ومخاطر كبيرة. ومن المتوقع أن يرتفع سعر الدولار في السوق السوداء، ما سيؤدي إلى موجة تضخم جديدة تضرب أسعار السلع الأساسية. أما التجار، فسيضطرون للعودة إلى أساليب التهريب والتمويه المالي، عبر وسطاء في دول مثل تركيا وإثيوبيا وكينيا، وهي بدائل أقل كفاءة وأكثر كلفة وعرضة للمخاطر.

القطاع المصرفي السوداني كان في حالة ضعف قبل فرض هذه العقوبات الجديدة. فقد دُمّرت فروع مصرفية، وأغلقت أخرى، وفُصلت مئات الكوادر، وفقدت البنوك ثقة المواطنين الذين باتوا يكتنزون العملات الأجنبية في منازلهم. والآن، مع تكرار العزلة، وحرمان النظام المصرفي من المراسلين الدوليين، تزداد احتمالات سقوط البنوك في موت سريري لا رجعة منه، إذ لن تتمكن من إجراء التحويلات أو فتح خطوط ائتمان أو إبرام شراكات دولية، حتى في التعاملات البسيطة كرسوم التعليم أو العلاج.

في ظل استمرار غياب حكومة مدنية معترف بها دوليًا، واستمرار الحرب والانقسام، يظل الأفق غامضًا، خاصة مع تصعيد الاتهامات الدولية للحكومة السودانية حول استخدام أسلحة كيميائية ضد المدنيين، ما قد يفتح المجال لعقوبات دولية أخرى وربما إجراءات في مجلس الأمن. وانكفاء المجتمع الدولي عن دعم السودان سياسيًا أو اقتصاديًا، وتدهور العلاقات مع جيران مهمين مثل الإمارات ومصر، يجعل البلاد تتجه نحو عزلة مزدوجة سياسية ومصرفية.

في الختام، ليست هذه العقوبات مجرد أدوات ضغط دبلوماسي، بل هي صاعقة جديدة في جسد اقتصاد منهك. تعيد السودان إلى مربع الحصار ولكن دون أدوات الالتفاف القديمة، وفي زمن أقل ثقة، وأشد بؤسًا. إن هذا هو اختبار حقيقي لمناعة الدولة السودانية، أو ما تبقى منها.

كتاباتي: عن تقوية الشخصية

عثمان يوسف خليل

ملخص

يرى الكاتب أن قوة الشخصية ليست هبة فطرية، بل مهارة يمكن اكتسابها عبر الالتزام بمجموعة من القواعد والممارسات اليومية. ومن بين هذه القواعد، التواصل البصري الواثق، و التحكم في ردود الأفعالو إخفاء نقاط الضعف.

يشير إلى أن التحدث بوعي وثقة يجذب الاحترام والانتباه، وذلك بالمشاركة في مناقشات عامة أو تدرب على الخطابة، كما أن وضعيات الجسم الواثقة تعكس شخصية قوية.

تقوية الشخصية عملية تراكمية تتطلب وعيًا وجهدًا مستمرين، ومن خلال هذه القواعد، يستطيع الإنسان أن يبني شخصية قوية، متوازنة، لا تهزها العواصف، بل تفرض حضورها وسط التحديات.

يخلص الكاتب إلى أن قوة الشخصية تُبنى بالإرادة والثبات، فكن أنت من تلجأ إليه العواصف، لا من تطيح به.

نحسب أن هنالك عدة قواعد من الممكن أن تساعد على تقوية الشخصية، ويبدو لنا أنها تمثل دليلًا قويًا لأي شخص يسعى لبناء شخصية صلبة ومتوازنة. وسوف نحاول أن نلخصها ونضيف بعض النقاط الإضافية لتعزيز فهمها وتطبيقه..

أولاً تواصل بصري واثق:

إن التواصل البصري ليس مجرد إظهار للثقة، بل هو أيضًا وسيلة لبناء علاقات قوية. عندما تنظر في عيون الآخرين، فإنك تُظهر أنك منتبه ومهتم بما يقولون، مما يعزز الثقة المتبادلة.

نصيحة إضافية: من أنجع وأنجح الطرق الصحيحة أن تدرب نفسك على التواصل البصري في المرآة لتعزيز ثقتك بهذه المهارة.

ثانيًا التحكم في ردود الأفعال:

- ضبط النفس: هو مفتاح النجاح في العلاقات الشخصية والمهنية. عندما تتحكم في ردود أفعالك، فإنك تمنح نفسك الفرصة للتفكير بعقلانية واتخاذ قرارات أفضل.

- نصيحة إضافية: استخدم تقنيات التأمل أو اليقظة الذهنية (Mindfulness) لتعزيز قدرتك على التحكم في عواطفك.

إخفاء نقاط الضعف:

- حماية نقاط الضعف لا تعني إنكارها، بل العمل على تحسينها. اعترف بنقاط ضعفك وقم بتطويرها تدريجيًا دون أن تظهرها للآخرين كأدوات يمكن استغلالها.

- نصيحة إضافية: قم بتحديد نقاط ضعفك ووضع خطة عمل لتحويلها إلى نقاط قوة.

4. الهدوء في المواقف الصعبة:

- لا شك أن الهدوء هو علامة القوة الداخلية. عندما تبقى هادئًا في المواقف الصعبة، فإنك تظهر للآخرين أنك قادر على التعامل مع الضغوط بشكل فعّال.

- نصيحة إضافية: تدرب على تقنيات التنفس العميق والاسترخاء لتعزيز قدرتك على البقاء هادئًا في الأوقات العصيبة.

5. المظهر الخارجي:

- المظهر هو انعكاس للاحترام الذي تكنه لنفسك وللآخرين. عندما تهتم بمظهرك، فإنك تُظهر أنك شخص منظم وواثق من نفسه.

- نصيحة إضافية: اختر ملابس تناسب شخصيتك وتجعلك تشعر بالراحة والثقة.

6. التحدث بوعي:

- من المعروف أن الكلمات الواعية هي أداة قوية للتأثير على الآخرين. عندما تتحدث بثقة ووضوح، فإنك تجذب انتباه الآخرين وتكسب احترامهم.

- نصيحة إضافية: تدرب على الخطابة أو المشاركة في المناقشات العامة لتعزيز مهاراتك في التحدث.

7. لغة الجسد:

- لغة الجسد هي وسيلة غير لفظية لإظهار الثقة. عندما تقف وتتحرك بثبات، فإنك تُظهر للآخرين أنك شخص قوي وواثق.

- نصيحة إضافية: قف أمام المرآة وتدرب على وضعيات الجسد التي تعكس الثقة، مثل الوقوف بشكل مستقيم وفتح الصدر.

تجاهل آراء الآخرين:

- التحرر من رأي الآخرين هو علامة النضج العاطفي. عندما تتوقف عن السعي لإرضاء الجميع، فإنك تمنح نفسك الحرية لتعيش حياتك وفقًا لشروطك الخاصة.

نصيحة إضافية: يجب عليك التركز على أهدافك وقيمك الشخصية، واسمح لنفسك بأن تكون كما أنت دون الخوف من حكم الآخرين.

الخلاصة: قوة الشخصية ليست شيئًا تولد به، بل هي مهارة يمكن تطويرها عبر الوقت. من خلال تطبيق هذه القواعد والعمل على تحسين نفسك باستمرار، ستتمكن من بناء شخصية قوية ومتوازنة تمكنك من مواجهة أي تحديات تتعرض لها في الحياة. تذكر أن القوة الحقيقية تكمن في القدرة على التحكم في نفسك والبقاء ثابتًا في وجه العواصف.

في الختام:

قوة الشخصية لا تُمنح، بل تُكتسب. إنها نتاج العمل المستمر على نفسك، والتمسك بمبادئك حتى عندما تهتز الأرض من تحت قدميك. كن ثابتًا، كن قويًا، وكن الشخص الذي تلجأ إليه العواصف، لذلك فانك إذا استطعت أن تتقن هذه القواعد، فلن تهزّك الحياة بسهولة. بل ستكون أنت من يفرض هيبته وسط الزحام.

روتو ضد الجيل Z: داخل ثورة الشباب في كينيا

ملخص

بدأت الاحتجاجات ضد قانون مالي مثير للجدل، لكنها تحولت إلى ثورة شبابية يقودها «الجيل Z»، مطالبة بمحاسبة القيادة السياسية. تركزت الاحتجاجات في نيروبي وانتشرت إلى 27 مقاطعة، وشهدت عنفًا مفرطًا من الشرطة أسفر عن مقتل 16 شخصًا وإصابة المئات.

اتهمت الحكومة المتظاهرين بمحاولة انقلاب، وأشارت إلى تورط نائب الرئيس السابق غاتشاجوا. بينما نفت المعارضة هذه المزاعم، برزت حركة الاحتجاج بوصفها قوة مستقلة غير خاضعة للقيادات التقليدية.

تميزت هذه الموجة بغضب واضح وغياب الطابع الاحتفالي المعتاد في احتجاجات كينيا، مع سخط شعبي عارم تجاه الرئيس روتو الذي خسر ثقة الشباب الذين انتخبوه عام 2022.

يشير المحللون إلى أزمة شرعية متفاقمة تواجه روتو، وسط دعوات لحوار لم يعد كثير من الشباب يرونه مجديًا. لكن ثمة تحذيرات من اختطاف هذه الحركة من قبل لاعبين سياسيين، مما قد يضعف زخمها.

نيروبي - أفريكا ريبورت - بقلم فيكتور أبوسو

27 يونيو 2025

لقد بدأت الاحتجاجات على مشروع قانون مالي، لكنها تحولت إلى معركة شرعية كاملة ومحاسبة جيلية للقيادة الكينية.

كانت رائحة الغاز المسيل للدموع تملأ هواء وسط مدينة نيروبي. دوّت صفارات الإنذار. وترددت أصداء قنابل الصوت على طول شارع كينياتا، بينما اندفع المتظاهرون، راشقي الحجارة، نحو قصر الرئاسة، أحد أكثر المواقع تحصينًا ورمزيةً سياسيةً في كينيا.

بعد عام من المظاهرات الدامية ضد مشروع قانون المالية الكيني المثير للجدل، عاد متظاهرو الجيل Z لكن هذه المرة، كان المزاج أكثر قتامة وإلحاحًا. من مومباسا إلى إلدوريت، ومن كيسي إلى ميرو، اندلعت الاحتجاجات في 27 مقاطعة، وهو نطاق نادرًا ما شهدته كينيا ما بعد الانتخابات . تدفق الكينيون إلى الشوارع في موجة احتجاج منسقة، مُعيدين إشعال حركة بدت متصدعة قبل أشهر قليلة.

ما بدأ كرفض لزيادات الضرائب في يونيو/حزيران 2024، تطوّر إلى أمرٍ أكثر تقلبًا وخطورةً على الرئيس ويليام روتو . في الأيام التي سبقت احتجاجات الأربعاء، نظّم جيل Z المتحمّس احتجاجاته عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وشارك البعض كلمات رثاءٍ مُرعبة، وحثّوا أصدقاءهم على دفنهم بشكلٍ لائقٍ إذا لم ينجوا.

وفقًا لمنظمات حقوقية، بقيادة منظمة العفو الدولية، قُتل ما لا يقل عن 16 شخصًا وجُرح أكثر من 400 آخرين، بينهم ضباط شرطة وصحفيون. واتهم نشطاء حقوقيون الشرطة بالعنف، مشيرين إلى استخدام الذخيرة الحية والرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع ضد المتظاهرين.

وقال حسين خالد، وهو مدافع عن حقوق الإنسان في منظمة «فوكال أفريكا» ومقرها نيروبي، إن الاحتجاجات كان من المقرر أن تكون سلمية، لكنه اتهم السلطات بالرد «بقوة غير متناسبة».

وبينما كانت الحجارة تتساقط على أبواب قصر الرئاسة، وإقامة الشرطة لحواجز جديدة من الأسلاك الشائكة، اكتسب سؤال كان يبدو في السابق نظريا إلحاحًا مفاجئًا: هل بدأ النظام السياسي في كينيا في الانهيار؟

ادعاء «محاولة الانقلاب»

وصف وزير الداخلية كيبتشومبا موركومين الاحتجاجات بأنها مؤامرة سياسية لزعزعة استقرار الدولة. وقال موركومين في بيان يوم الخميس: «لا علاقة لهذا بالاحتجاجات. لقد كانت محاولة انقلاب»، كما وجه تحذيرًا لمن وصفهم بممولي الاحتجاجات. وأضاف: «لا تخطئوا، سنلاحقكم».

ومنذ ذلك الحين، كثف المشرعون المتحالفون مع حكومة روتو ذات القاعدة العريضة الضغوط على الشرطة لاعتقال نائب الرئيس السابق ريغاتي غاتشاجوا وحلفائه، الذين يتهمونهم بتدبير وتمويل الاضطرابات.

خلال جلسة خاصة في البرلمان، شدد زعيم الأغلبية كيماني إيتشونغواه على موقف الحكومة المتشدد، واصفًا الاحتجاجات بأنها مُدبّرة سياسيًا وليست طبيعية. وقال: «ما حدث لم يكن احتجاجًا عاديًا. لم يكن مظاهرة لجيل Z. بل كان حدثًا ذا دوافع سياسية يهدف إلى الإطاحة بالدستور والحكومة».

وذهب إيتشونجواه إلى أبعد من ذلك، حيث اتهم غاشاجوا بالتحريض على العنف تحت ستار الانتقام السياسي.

وردًا على ذلك، نفى غاتشاجوا بشدة الاتهامات، وألغى جميع اللقاءات العامة المقررة، وانتقد تعامل الحكومة مع الاحتجاجات.

قال في بيان: «الكينيون ليسوا أغبياء. لقد سمحتم للشرطة بإحداث الفوضى، ثم ألقيتم اللوم على الجيل زد».

ما المختلف هذه المرة؟

لسنوات، اتبعت الاحتجاجات في كينيا نهجًا مألوفًا: اضطرابات متقطعة، غالبًا ما يُدبّرها أو يُؤيّدها قادة المعارضة، تتخللها موسيقى ورقص وروح مقاومة استعراضية. لكن هذه المرة كانت مختلفة. لم تكن هناك موسيقى، ولا أجواء كرنفالية، ولا هوية سياسية. فقط غضب، وكان في كل مكان.

على عكس الاحتجاجات السابقة، أغلقت الشرطة هذه المرة جميع الطرق الرئيسية المؤدية إلى منطقة الأعمال المركزية في نيروبي، مانعةً الوصول إلى المباني الحكومية والبرلمان والطرق الرئيسية المؤدية إلى قصر الرئاسة. وكان المقر الرئاسي محصنًا بشكل محكم بأسلاك شائكة حادة وحواجز مُعززة.

لم تكن محاولة المتظاهرين الوصول إلى قصر الرئاسة مصادفة، بل كانت عملاً متعمداً لمواجهة رمزية واستراتيجية، وفقاً للمحللين. ففي كينيا، لا تُعتبر الرئاسة مجرد منصب، بل الرمز الأسمى للهيمنة السياسية. واستهدافها جسدياً، حتى

بالحجارة، كان إعلاناً عن فقدان الشعب ثقته بهذا الرمز.

في عام 2022، خاض روتو حملته الانتخابية على منصة شعبوية، واعدًا بـ«اقتصادٍ فعّال» من شأنه أن ينتشل الفقراء من خلال تنميةٍ من القاعدة إلى القمة. لكن بالنسبة للعديد من الشباب الكينيين، كان الواقع منذ ذلك الحين هو التضخم والبطالة والضرائب العقابية . ويقول المتظاهرون إن قانون المالية كان بمثابة الإهانة الأخيرة.

يواجه الرئيس الآن أزمة شرعية متفاقمة. رد فعله - مزيج من الصمت والمراقبة - يُنذر بتعميق الانقسام. وتشير التقارير إلى أن روتو غادر نيروبي لفترة وجيزة في ذروة المظاهرات، لحضور دفن والد حاكم كيليفي، جدعون مونغارو، وعاد في وقت متأخر من المساء.

العواقب السياسية للاحتجاج

كشفت احتجاجات الأربعاء أيضًا عن تقلبات المشهد السياسي في كينيا. فبينما قدّمت شخصيات معارضة، مثل رايلا أودينغا وكالونزو موسيوكا، دعمًا شفهيًا، تم تهميشها إلى حد كبير من قِبل حركة لا تعترف بالقيادة السياسية التقليدية.

السؤال المحوري الآن هو ما إذا كانت هذه الحركة ستتلاشى أم ستتبلور لتتحول إلى قوة سياسية قادرة على تشكيل المرحلة المقبلة من الديمقراطية الكينية. بالنسبة للرئيس روتو، تتضاءل الخيارات، وفقًا للمحللين. بإمكانه محاولة قمع الاحتجاجات والمخاطرة بمزيد من الاضطرابات والإدانة الدولية، أو تقديم تنازلات، لكن ذلك قد لا يكون كافيًا بعد الآن.

ويصف المحلل السياسي هيرمان مانيورا المكانة السياسية لروتو بأنها «لا يمكن إصلاحها»، ويرى أن خيبة الأمل المتزايدة، وخاصة بين الشباب الذين صوتوا له في عام 2022، تشير إلى أزمة شرعية متزايدة الاتساع.

ويقول مانيورا في تصريح لصحيفة «ذا أفريكا ريبورت» إن «أغلبية الكينيين غاضبون الآن ويريدون إخراجه من السلطة»، محذرًا من أنه ما لم يفتح روتو بشكل عاجل خط حوار منظم مع الشباب، فإن الاضطرابات سوف تتعمق فقط.

بالنسبة للعديد من المتظاهرين، ربما تكون لحظة الحوار قد فاتت. يقول جيسون أونجيري، البالغ من العمر 27 عامًا الذي انضم إلى مظاهرات نيروبي، إن أي محاولة من روتو لإشراك الشباب الآن ستكون ضئيلة ومتأخرة جدًا.

«لقد صوتت لصالح روتو، ولكنني أريده أن يرحل الآن»، يقول أونجيري.

لكن لا يعتقد الجميع أن الاحتجاجات الأخيرة ستجبر الرئيس روتو على التنحي عن السلطة. يحذر المحلل السياسي إدوين كيغولي من أن حركة الاحتجاج قد تفقد تركيزها وتسقط في فخ الاستقطاب السياسي.

يقول كيجولي لصحيفة أفريقيا ريبورت : «إن هذه الموجة الأخيرة من الاحتجاجات تظهر علامات على اختطافها من قبل الانتهازيين السياسيين من الحكومة والمعارضة على حد سواء».

ويضيف أن البعض في الحكومة بدأوا في تصوير احتجاجات الشباب باعتبارها امتدادًا لسياسات المعارضة، خاصة مع اكتساب شعارات مثل «يجب أن يرحل روتو» و«رئيس لفترة واحدة» زخمًا، وهو ما يردد اللغة التي يستخدمها زعماء المعارضة.

لستُ من ينزوي في الملماتِ.. وللشعب دَينٌ عليّ

نـانسـي عجاج..

حين يصبح الفنان موقفًا والغناء مقاومة

ليست مجرد صوت شجيّ أو موهبة غنائية لامعة، بل هي حالة فنية وإنسانية متكاملة، وموقف أخلاقي لا يتزحزح. نانسي عجاج هي الصوت الذي خرج من رحم الناس، من وجعهم ومآسيهم، لتغنّي للمهمّشين والغلابة والتعابة. بصوتها الذي يقطر صدقًا، اكتسحت الساحة الفنية في زمن وجيز، وتربّعت على قمتها وحدها، لا لأنها نافست أحدًا، بل لأنها اختارت ألا تشبه أحدًا. اختطّت لنفسها طريقًا خاصًا، وانتهجت مدرسة فنية متفرّدة، تمسّكت فيها بالقيم النبيلة والرسائل الرفيعة، مما جعلها عرضة لحملات التشويه والشيطنة، في محاولة يائسة لإسكات الحنجرة التي تحرّك الساكن في الضمير. لكنّها ظلت واقفة كالنخلة، تُرمى بالحجارة فتردّها أغنية، وتُقابل القبح بالمزيد من الجمال.

وفي زمن الحرب، حيث خيّم الصمت على كثير من الفنانين خوفًا من التخوين، وجاهر آخرون بولائهم لأطراف الصراع العسكرية، متناسين كل ما كانوا يردّدونه من قيم في أغانيهم، كانت نانسي من القلائل الذين جاهروا بموقفهم الأخلاقي بوضوح: ضد الحرب، ضد الدم، ضد الخراب. لم تجامل، ولم تهادن، ولم تختبئ خلف الحياد البارد. كانت الصوت الذي يقول «لا»، حين جعلوا من لا جريمة. في هذا الحوار، لا تحكي نانسي عجاج عن تجربتها الفنية فحسب، بل تفتح جرحًا جماعيًا بكلمات صادقة، وتُقدّم شهادة عن ما يعنيه أن تكون فنانًا في زمن الانهيار. هو حوار مع الفن والموقف، مع الوطن المجروح، مع الأسئلة التي لا تهدأ:

هل يمكن للغناء أن يداوي وطنًا ينزف؟ وهل يستطيع الفن أن يُنقذ ما تبقّى من الذاكرة الجماعية؟

هنا لا تجد فقط حديثًا عن الفن، بل شهادة حية من قلب الخراب، ومرافعة وجدانية عن معنى أن تكون فنانًا في وطن منكوب، وعن مسؤولية الكلمة عندما يصير الصمت خيانة.

كيف تعيش نانسي واقع الحرب في السودان من موقعها كفنانة؟ وكيف أثرت هذه الحرب على علاقتك بالفن والجمهور؟

بطبيعة الحال، الحرب تُحدث تأثيرًا عميقًا ومتشعبًا، ليس فقط على الفنان بل على كل ما يحيط به. هي تُربك الإيقاع العام، تُعطّل الحواس، وتُعيد ترتيب الأولويات قسرًا. فالحرب تغيّر حتى طريقة الاستماع، تجعل الجمهور أكثر انكفاءً، وأقلّ تفاعلًا، وأحيانًا أكثر احتياجًا أيضًا. والفنان في هذه الدوامة يجد نفسه مُقيّدًا بالمكان، بالحالة النفسية، بواقع النزوح القاسي، وبغياب المعايشة اليومية التي تمثّل النبض الأصيل لأي عملية فنية .

شخصيًا، لطالما غنّيت من أجل قيم واضحة ومضامين راسخة: ضد الظلم، من أجل الحرية، والانحياز للمهمّشين والموجوعين. لكن الحرب، بوقْعها المباغت، أرغمتني على خوض تجربة لم أختارها، تجربة النزوح والانقطاع عن الجذور، ما جعل الإبداع نفسه يدخل في مرحلة من الاضطراب والتريّث. الإلهام يحتاج إلى احتضان، والاحتضان مستحيل وسط هذا الدمار.

لكن بالطبع تأخر الإنتاج لا يعني الغياب، بل قد يكون لحظة نضوج. العمل الجيد لا يُنتج بالضرورة في ذروة الحدث. أحيانًا، تحتاج اللحظة إلى أن تهدأ لتُفهم، لتُعاد قراءتها، ثم يُترجم أثرها فنيًا. فترات الخمول والهدوء جزء أصيل من عملية الخلق. قلة الإنتاج لا تعني أبدًا أن الفنان لم يعد يمتلك شيئًا ليقدّمه، بل العكس: ربما ما سيأتي سيكون أكثر نضجًا وتأثيرًا.

هل ترين أن للفنان دورًا خاصًا أو مسؤولية أخلاقية خلال أوقات النزاع المسلح؟

نعم، وبشكل لا يقبل التأويل. للفنان دور خاص ومسؤولية أخلاقية تتعاظم في زمن الأزمات. لكن هذا مرتبط أولًا بمدى وعي الفنان لذاته، لأدواته، ولفكرة التأثير، سواء الآني أو المتراكم. الفنان الذي يمتلك وعيًا حقيقيًا، لا يمكنه أن يتجاهل حجم التأثير الذي يُحدثه صوته، وأن الفن حين يُوظف إنسانيًا، فإنه يصبح قوة تغيير، لا مجرد وسيلة ترفيه.

أنا أرى أن على الفنان أن يردّ الجميل للجمهور الذي صعد به إلى المنصات. أن يقف إلى جانب الناس حين تُثقل كاهلهم الحرب، أن يُعبّر عنهم عندما يُحاصرون بالصمت والعجز. صوت الفنان يصل أبعد، والأبسط أن تستخدم هذا الصوت في قول ما يجب أن يُقال. المسألة ليست مجرّد شهرة أو متعة، بل التزام وجداني. «ما ترجع الماعون فاضي» — هذه ليست فقط عبارة بل فلسفة كاملة. عليك أن تملأ هذا الماعون بالقيمة، بالموقف، بالحقيقة.

خلال سنوات الحرب شهدنا تراجعًا في الأغاني التي تدعو للسلام مقابل تصاعد أغانٍ تعبّر عن الانتماء لطرف أو تمجّد الخطاب العسكري. ما تفسيرك لهذا التحول؟

هو ليس تحولًا بريئًا أو طبيعيًا، بل نتيجة لعمل ممنهج ومدروس. من يملك القوة العسكرية ويستعد للحرب بعتاده، يستعد أيضًا بخطابه، بصوته، بفنّه الذي يخدم الغرض. هنالك أصوات صُنعت لهذه

اللحظة تحديدًا، أُعدّت لتغنّي للحرب، لا للسلام

في المقابل، يواجه الفنان الذي يغني للسلام حربًا من نوع آخر: التخويف، التخوين، الإساءة، التشهير، بل وحتى الإقصاء. هنالك فنانون لا ينتمون لأي طرف، يريدون الغناء للسلام، لكنهم يخشون هذا الهجوم العنيف، التخويف والتخوين سلاح استخدم ضد أي فنان وقف ضد شلالات الدماء هذه، يُعاقبون لمجرد أنهم لم يغنوا للقتل ويمجدون الدمار.

صوت الفن السوداني كان في مراحل تاريخية حاسماً في تشكيل الضمير الجمعي والدعوة للتعايش. لماذا يبدو هذا الصوت اليوم خافتاً أو غائباً؟

لأنهم عرفوا منذ البداية خطورة الفن، وقدرته الخارقة على التأثير، فشنوا عليه حربًا مبكّرة. الحرب ضد الفن بدأت قبل الطلقة الأولى، قبل أن يُهدد الوطن بالسلاح. تمثّلت هذه الحرب في تدمير بيئة الإنتاج، في إفقار الفنانين، في اختراق الوسط الفني وتشويهه، وفي خلق تيارات موازية للفن الجاد تحمل مضامين سطحية أو عنفية، أنا لا أرفض الاختلاف في الذائقة، بل على العكس أمتلك سعة تذوّق للأشكال المتعددة، لكن لديّ حد أدنى: أن يملك هذا الفن القدرة على الارتقاء بالوجدان. الناس في زمن الحرب ليست «فاضية» لسماع تفاهة، بل تحتاج لما يعينها، يضيء بداخلها شمعة، لا يزيد من ظلمة الواقع. أي منتج فني لا يمنحني حدًا أدنى من الجمال، لا أعتبره فنًا ولا أستطيع التفاعل معه.

هل تعتقدين أن الرقابة الذاتية أو الخوف من الاستقطاب السياسي منع كثيرًا من الفنانين من التعبير عن مواقفهم؟

نعم، هنالك الكثير من الفنانين أصبحوا رهائن للخوف. الرقابة الذاتية هنا ليست ضعفًا، بل نتيجة طبيعية لوضع خانق. بعضهم يخاف من التعبير، وبعضهم يمرّ بفترة صمت داخلية، في طور الاستيعاب والهضم العاطفي لما يحدث. لكن مما لا شك فيه أن الخوف موجود، وهو مفهوم أيضًا، في ظل الجو العام المليء بالقمع والتشهير. كثيرون يقولون في دواخلهم: «الزمن ما زمن كلام»، فيلجؤون للصمت طلبًا للسلامة.

ما رأيك في فكرة الحياد الفني؟ هل يمكن للفنان أن يلتزم الصمت في قضايا وجودية مثل الحرب دون أن يُعتبر ذلك موقفًا؟

الصمت في ذاته موقف. لا يوجد حياد حقيقي في لحظة مصيرية كالتي نعيشها. لكن لا بد أن نتفهم أن للصمت أحيانًا أسبابه، وهي تختلف من فنان لآخر. هناك من يصمت لأنه يمرّ بمرحلة استيعاب، وهناك من يصمت لأنه مجروح، وهناك من يصمت لأنه يشعر أن لا أحد ينصت، لكن في المجمل، الصمت في لحظات استثنائية ليس رفاهية. لا بد أن تُعبّر، بطريقتك، في توقيتك، حتى ولو بالصمت المدروس، لكنه لا بد أن يكون واعيًا.

الفن وخطاب الكراهية: ظهرت خلال الحرب أغانٍ تمجّد الحرب وتزدري الخصم. هل يمكن تصنيفها ضمن خطاب الكراهية؟

بالتأكيد. هذه الأغاني هي التعبير الفني عن خطاب الكراهية، وتُستخدم كأداة تعبئة وتحريض. تأثيرها مباشر، وخطرها كبير. لأنها تلبس ثوب الفن بينما هي في الحقيقة تعبير عن النزعة التدميرية داخل الصراع.

هل تعتقدين أن بعض الفنانين يساهمون من دون وعي في تأجيج الصراع؟ وما الذي يميّز الفن المقاوم من الفن المحرّض؟

نعم، هناك مساهمات تتم دون وعي، أو بوعي جزئي. الفنان قد ينحاز لمعسكر ما بقناعة شخصية، ويظن أنه بذلك يمارس دوره الطبيعي. لكنه حين يفعل ذلك دون إدراك لنتائج موقفه، يصبح أداة تأجيج. الفن المقاوم يحمل هم الإنسان، يسعى للسلام، يحاول بناء جسر لا حفرة. أما الفن المحرّض، حتى لو بدا ناجحًا لحظةً، فإنه لا ينتصر أخلاقيًا، السؤال ليس فقط عن التأثير، بل عن نوع القيمة التي تقدمها. هل منحت الناس أملًا، أو ساهمت في تعميق جراحهم؟ هل قدمت لهم الفن كعزاء، أم كسوط إضافي يلهب ظهورهم؟ لا توجد حرب لا نهاية لها، لكن هناك فن قد يُساهم في إنهاء الحروب، وفن قد يجعلها أكثر ضراوة وفتكًا وتدميرًا.

ما مدى تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على تضخيم الأغاني التي تحمل عنفًا أو شحنًا عاطفيًا ضد الآخر؟

وسائل التواصل الاجتماعي لم تعد فقط منصات لعرض الرأي أو التعبير، بل تحوّلت إلى أدوات رئيسية في معركة الاستقطاب والتعبئة. إنها ليست «مجرد وسيلة»، بل هي الآلة الأكثر فاعلية في تضخيم وترويج الخطابات، خاصة تلك التي تحرّك العاطفة السريعة، مثل الأغاني التي تمجّد السلاح، وتُشيطن الطرف الآخر، وتُعبّئ النفوس بالكراهية.

هي منصات فعّالة في تشكيل الرأي العام، ليس فقط لأنها تنشر، بل لأنها تُكرّر وتعيد وتُضخّم وتسحب الجمهور نحو مراكز الجذب العاطفي. وفي حالة الحرب، يصبح الخطاب الغنائي المشحون بالعنف قابلاً للتداول أكثر من الخطاب العقلاني، لأنه يخاطب الألم بلغة الغضب، لا بلغة التروي، وهذا خطر بالغ.

نانسي عُرفت بأنها صاحبة صوت حر وملتزم. هل فكّرتِ في إطلاق مبادرة أو مشروع فني يُعبّر عن معاناة السودانيين ويدعو إلى وقف الحرب؟

نعم، في بدايات الحرب، كانت هنالك مبادرة متواضعة، فكرتها إقامة حفلات يخصص ريعها لصالح النازحين، وكذلك سعيت مع آخرين لجمع التبرعات لصالح دور الإيواء لكنها اصطدمت بالعديد من العراقيل، فنيًا كانت هناك العديد من المبادرات أثمرت عن إنتاج عمل بعنوان عيون الشوف، من كلمات الشاعر الجميل قاسم أبو زيد. هذا العمل كان محاولة أولى لقول شيء وسط هذا الدمار العارم. وما زالت هناك أفكار ومشاريع أخرى تتشكّل، منها ما هو موسيقي، ومنها ما هو مجتمعي وإنساني.

الفكرة بالنسبة لي لم تكن فقط عن «الغناء للسلام» كشعار، بل الغناء للإنسان، للمجروحين، للمُهجّرين، للمكلومين، للذين فقدوا أحباءهم ومنازلهم وأحلامهم. التعبير عن معاناة الناس ومواساتهم ومدّ يد العون المعنوي، هو مسؤولية الفنان، حتى وإن تأخر التنفيذ أو تقطّعت السبل.

ما هي الرسائل التي تحرصين على توصيلها في هذه المرحلة؟ وما الذي يعيق إيصالها وسط هذا الخراب؟

رسالتي موجهة لكل السودانيين، داخل البلاد أو خارجها. للذين يعانون من القبح اليومي في الداخل، أو الذين هُجّروا ويكابدون في المنافي. معاناة الداخل واضحة، لكنها ليست أكثر قسوة من الغربة التي يعيشها اللاجئ أو المهاجر الذي حُمّل أعباء ومسؤوليات فوق طاقته. الحرب لم تستثنِ أحدًا، كلنا مدينون لها بجراح من نوع ما.

وفي خضم هذا الحزن، أحاول دائمًا أن أُذكّر بالنصف المليء من الكوب — إن وُجد. هذه الكارثة كشفت أقنعة كثيرة، وفضحت فسادًا وظلمًا طالما صمتنا عنه. نأمل أن تضع هذه التجربة البشعة أساسًا جديدًا لبناء وطن أكثر عدالة وإنصافًا. التغيير يبدأ من المعرفة، من التعرية، من فضح القبح، ثم مقاومته، ثم تجاوزه.

كيف تتخيّلين دور الفن في إعادة بناء السودان بعد الحرب؟ وهل ترين أن للفن القدرة على رأب الشرخ المجتمعي العميق الذي خلّفته الحرب؟

نعم، أرى أن للفن دورًا هائلًا في الترميم النفسي والاجتماعي. الفن هو الذاكرة المشتركة، هو الحنين، وهو اللغة التي تتجاوز الانقسامات. متى ما اختار الإنسان أن يستمع لفنان ما، فهو قد فتح له قلبه دون أن يدري. وهنا تبدأ رحلة الشفاء.

الفنانون، عبر أعمالهم، يمكنهم أن يستعيدوا الحسّ المشترك بين الناس، أن يُذكّروهم بمن كانوا عليه قبل الخراب، أن يفتحوا نوافذ للضوء وسط الحطام. نحن نحتاج إلى فن يُجمّع، لا يُفرّق. فن يُربت على الجرح لا أن يُثيره، فن يعيد إلينا الإيمان بأن الحياة ممكنة بعد كل هذا القبح.

واجهتِ خلال مسيرتك الفنية مضايقات وحملات تشهير بسبب مواقفك. من تعتقدين أنه يقف خلفها؟

يقف خلفها من لا يريدون سماع الصوت الحر. هؤلاء لا يطيقون صوتًا يُذكّرهم بأن هنالك بدائل إنسانية، بأن الفن ليس أداة تجييش، بل مساحة للتفكير والجمال والضمير. هذه حملات ممنهجة، تُدار بأدوات إعلامية وكتائب إلكترونية هدفها الأساسي هو صناعة رأي عام مُوجّه، يُرحّب بما هو مطلوب ويُقصي كل ما هو غير مرغوب فيه من قبلهم. هؤلاء يرون في الفنان المختلف تهديدًا، لأنهم يريدون أن يحتكروا حتى الوجدان، يريدون فنًا يُشبه خطاباتهم، لا يُشبه الناس.

هل تعتقدين أن مواقفك كانت السبب الرئيسي في استهدافك؟

بكل تأكيد. أنا لا أنتمي لأي حزب سياسي، لكنني أنتمي لفكرة: أن أكون ضد القهر والظلم والتفرقة والقتل. إذا كان هذا الموقف يُعتبر سياسيًا، فليكن. لكن من استهدفني لا يضايقه موقفي السياسي من حزب ما، بل يضايقه أنني أمتلك صوتًا مؤثرًا، وأنني أقدّم فنًا يحمل قيمة، ويصل إلى الناس، ويُذكّرهم بأن هنالك حياة أوسع من ضيق المعسكرات. ما يُزعجهم هو أنني أقدّم ذاكرة فنية وجمالية تربك خطابهم التعبوي، وتشوّش على روايتهم المختزِلة للصراع. لهذا، أصبحت هدفًا.

كيف أثّرت هذه الحملات على مسيرتك الفنية ونشاطك داخل السودان وخارجه؟

الحرب والحملات أثّرت عليّ كما أثّرت على الجميع. أوقفت مشاريع، عطّلت خططًا، وأربكت الإيقاع الذي كنت أعمل به من قبل. لكنني أؤمن أن كل أزمة تحمل في طيّاتها فرصًا جديدة. ربّ ضارة نافعة. هذه المحنة دفعتني لإعادة النظر في طرائق العمل، وفي الأدوات، وفي معنى أن أكون فنانة في لحظة فاصلة من تاريخ البلاد.

بدأت أوسّع دائرة تفكيري، وأفكر خارج الصندوق.

أبحث عن أدوات جديدة، وربما أكثر عمقًا وفاعلية.

هل فكّرتِ في التوقّف أو الابتعاد بسبب هذه الحملات؟

أبدًا. على العكس تمامًا، هذا الظرف هو اللحظة التي يجب أن أكون فيها حاضرة وبقوة. لا يعقل أن أكون موجودة في زمن الأمان، وأغيب عندما تحتاجني الناس. إن كنت أمتلك القدرة، والوسيلة، والصوت، فمن الظلم أن أنسحب بينما آخرون لا يملكون ما يملكه الفنان من أدوات وباتوا ابواقا للحرب والموت والخراب.

الغياب في هذا التوقيت هو تخلٍّ، وأنا أؤمن أن الالتزام الحقيقي لا يظهر في اللحظات المريحة، بل حين يكون الوجود مكلفًا وصعبًا.

هل تلقّيتِ بعد الحرب أي تهديد مباشر؟ وإن حدث، هل أخذته على محمل الجد؟

حتى الآن، لم أتلقّ تهديدًا مباشرًا، سواء قبل الحرب أو بعدها. لكن هنالك سلوكيات غير مباشرة، مضايقات، محاولات للطاقة السلبية، تُرهقك وتستهلك طاقتك ومزاجك. أحيانًا تجد نفسك تشرح وتُبرر لأصدقائك أو لمتابعيك لتوضيح أن الحملات ليست سوى ضجيج لا يستحق التوقف عنده. بعض المواقف تستوجب ردًا أو توضيحًا، خاصة من أجل العيون التي تثق بك، وتنتظر أن ترى فيك صورة تستحق الحب والدعم مما يستهلك وقتك وطاقتك . لكن غالبًا ما أتعامل مع كل هذه التفاصيل بقدر كبير من الهدوء والتجاهل. كما يُقال: «ينتهي العزاء بانتهاء مراسم الدفن».

«سيروتونين» فيلم سوداني عن العزلة والحياة للمخرج شهاب ساتي

ملخص

يشكل فيلم «سيروتونين» تجربة سينمائية سودانية مميزة، أخرجها الشاب شهاب ساتي، وتُوّجت بجائزة الفيل الأسود في مهرجان السينما المستقلة عام 2018، وشاركت في عدة مهرجانات محلية ودولية بينها مهرجان الأقصر بمصر.

الفيلم، الذي ينتمي للسينما التجريبية، خالٍ من الحوار ويعتمد على الصورة والألوان، لا سيما الأبيض والأسود، للتعبير عن العزلة والوحدة، ويعد أول أفلام المخرج، وقد اختار له اسم «سيروتونين» تيمّنًا بالناقل العصبي المرتبط بالمزاج والسعادة، كتشبيه لحالة الشخصيات في العمل.

المخرج شهاب ساتي الذي يحمل خلفية أكاديمية في الوسائط المتعددة والإعلام، يعتبر السينما المستقلة مساحة حرّة تتيح للمخرجين سرد قصصهم بعيدًا عن قيود الإنتاج التجاري،ويؤمن بأن لكل مخرج أسلوبه الخاص، ويصف أفلامه بأنها نتاج تراكم بصري وسمعي وشخصي.

يُعد الفيلم تجربة أولى للمخرج، لكنها جاءت ناضجة، حاملة لأسئلة داخلية وهواجس إنسانية، عُرضت من خلال كادرات ملوّنة بالحزن، ولقطات تسبح في الأبيض والأسود.

محمد إسماعيل- أفق جديد

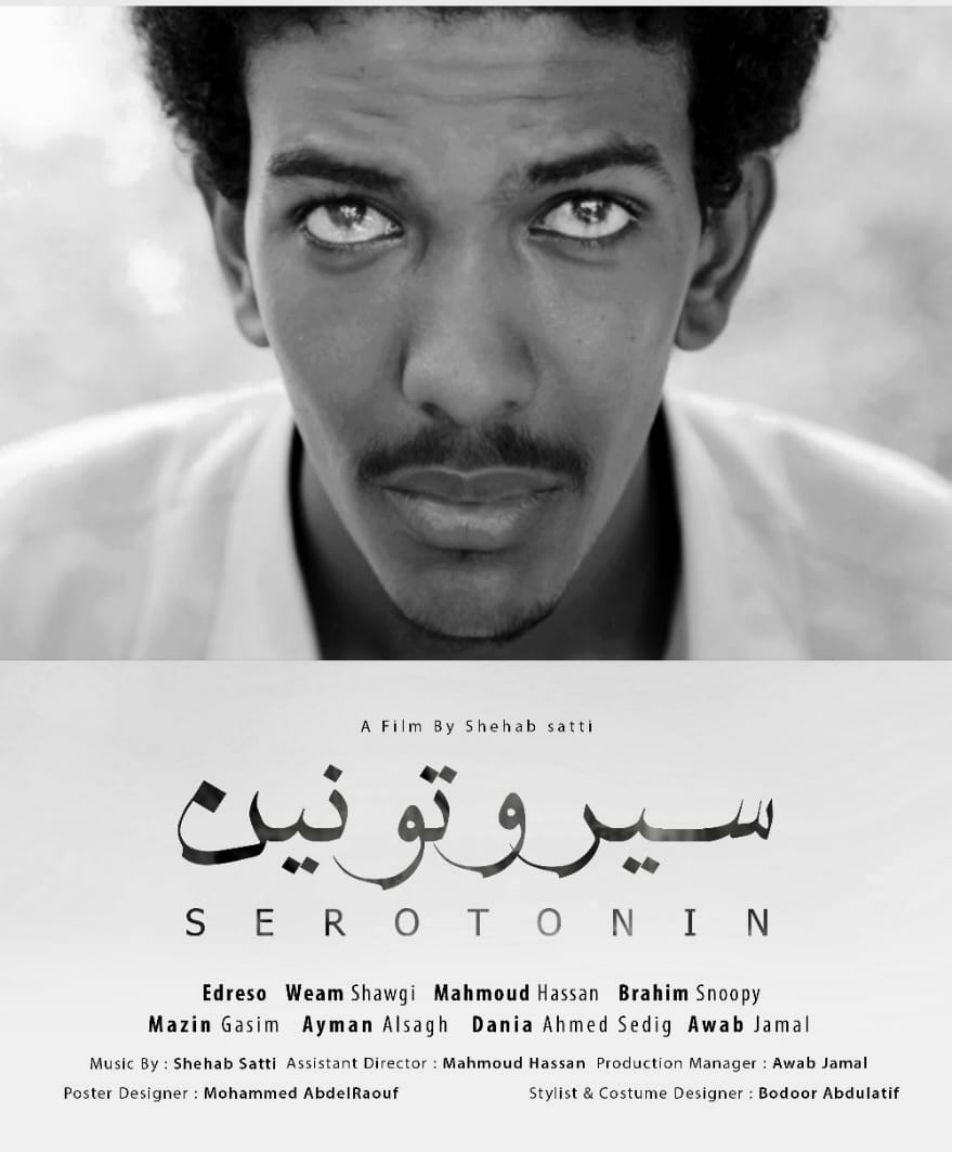

شهدت الفترة الأخيرة رواجًا كبيرًا لأفلام سينمائية قدمها مخرجون سودانيون من أجيال الشباب، ووجدت تلك الأفلام تقديرًا عالميًا، وحققت قفزات نوعية على الصعيد الدولي، إذ يتجلى فيها التركيز على الكيف والجودة مقابل الكم والعدد.

شهاب ساتي من الشباب الموهوبين الشغوفين بالعمل السينمائي، إذ ظل يعمل عليه من خلال إنتاج الأفلام وتقديم الورش. حاز فيلمه «سيروتونين» على جائزة الفيل الأسود لمهرجان السينما المستقلة في العام 2018، بالإضافة لمشاركته في العديد من المهرجانات والفعاليات الداخلية والخارجية منها مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية في مصر، كما توفرت له فرص للعرض في برلين.

شهد اتحاد تجمع الفنانين السودانيين بمصر في وسط البلد مساء الأحد الماضي حضوراً لافتًا للسودانيين المقيمين بالقاهرة لمشاهده عرض فيلم «سيروتونين»، وعقب انتهاء العرض أقيمت جلسة نقاش بحضور المخرج، أدارها الفنان التشكيلي والمصور الفوتوغرافي سارى أحمد، وتم خلالها حوار مفتوح مع المخرج من قبل الجمهور .

وفيما يتعلق باختيار اسم الفيلم قال ساتي: سيروتونين، هي مادة كيميائية طبيعية (ناقل عصبي) تلعب دورًا هامًا في تنظيم المزاج، ويُعرف أيضًا باسم «هرمون السعادة» لأنه يسهم في الشعور بالسعادة، وأثناء عملي على فيلمي كنت كثير القراءة في علوم مختلفة لتحضير وكتابة الفيلم، إلى إن توصلت لهذا الاسم، ووجدته الأنسب للفيلم وحالته وعوالم شخصياته .وأضاف أن هذا الفيلم يعتبر فيلمه الأول، وتم عرضه في بداية العام 2018.

وأشار في حديثه إلى مجاله الأكاديمي، فهو حاصل على البكالريوس في الوسائط المتعددة وعلى الدبلوم العالي في الدراسات العليا في الإعلام، بالإضافة لممارسته فن السينما، ثم تلقى كورسات مختلفة من مؤسسات داخل وخارج السودان، ويعتبر أن جزءًا من عمله هو نقل المعرفة من خلال تدريب الشباب على صناعة الأفلام .

وقال المخرج شهاب إنه مشاهد جيد ومحب للسينما عمومًا، ولا يفضل نوعًا على آخر، لكنه يميل إلى السينما التأملية أو السينما الشاعرية. وأرجع ذلك إلى نتاج تراكمه المعرفي والبصري والسمعي.

وتابع: ما نصنعه هو حصيلة تجاربنا ومشاهداتنا وقراءاتنا، وبأفلامي أصنع طريقي ونهجي الخاص، لا أقصد أو أتعمد ذلك، ولكن في نهاية الأمر، ما يميز مخرج عن آخر هو أسلوبه، وأعتقد أن لدي أسلوبي ورؤيتي .

وتحدث ساتي عن علاقة الألوان بصناعة الصورة قائلًا: هي جزء من أدواتي كمخرج وهي جزء من الصورة. ركزت في بعض المشاهد على اللونين

الأبيض والأسود، وقصدت من ذلك دلالات لخدمة سياق الفيلم. واعتبر الألوان في الفيلم عنصرًا رئيسيًا، وعلى هذا الأساس وظفها لترجمة الحالة العامة .

وحول الاستغناء عن لغة الحوار في الفيلم قال: ما تم عرضه الآن يعتبر فيلمًا تجريبيًا، وهو تصنيف فني معروف، وهنالك نظريات مختلفة في السينما، ولكن ما هو متعارف عليه بكل تأكيد أن للسينما لغتها الخاصة، والصورة والحوار بالنسبة لي تم استخدامها بالشكل المناسب .

وعن مصطلح سينما مستقلة أفاد بقوله: يختلف المخرجون حول فكرة السينما المستقلة، البعض يرى أنه ليس هنالك صناعة سينما أصلًا لكي تستقل منها، لكن بشكل شخصي أرى أن السينما المستقلة هي اتجاه مهم، أتاحت لنا المساحة في صناعة أفلامنا وقصصنا وعوالمنا بعيدًا عن مفاهيم السينما التجارية أو السينما ببنائها التقليدي المتعارف عليه.

وواصل قائلًا: السينما المستقلة هي تسمية أو تعريف للأفلام السينمائية التي يتم إنتاجها خارج منظومة الأستوديوهات وشركات الإنتاج والتوزيع الكبرى، التي تتحكم في هذه الصناعة. تميزت السينما المستقلة في البداية بخروجها عن الخط التجاري الاستهلاكي، كما تميزت بتقديمها محتوى إبداعيًا أكثر حرية ورقيًا، وغالبًا ما تكون معبرة بقوة عن آراء المخرجين.

وتحدث المخرج الشاب شهاب عن رحلته في إخراج فيلم «سيروتونين»، وقال إنه حلم تحقق بعد سنوات من العمل. مضيفًا أن «سيروتونين» مشروع عكس ما مر به من وحدة وعزلة. أما عن عملية كتابة السيناريو فقال عنها أنها كانت بطيئة لكنه جمعها

فى خط رئيسي مع الانتقال بين الفلاش باك وتكثيف حالة الوهم والحقيقة.

ولفت إلى أنه متأثر بالسينما المصرية، لاسيما سينما داؤود عبد السيد، وشادي عبدالسلام، ومحمد خان. وقال: هؤلاء شكلوا تيارًا واقعيًا مختلفًا .

كلمة أخيرة :

واختتم شهاب ساتي حديثه بأنه سعيد بهذا الحوار مع الجمهور، كما شكر كل الحاضرين، وقال: فيلم «سيروتونين» هو التجربة الأقرب إلى مشاريعي السينمائية. هنالك مشاريع قادمة أعمل عليها بإذن الله.

وأضاف: أنا حريص كل الحرص على أن يصل فيلم «سيروتونين» إلى جمهور أوسع عبر مناطق مختلفة من العالم. وأتقدم بالشكر لتجمع الفنانين السودانيين، ومن نظم هذا الحدث.

عن الشعر والجسد
الفراشة والسمندل

السر السيد

ملخص

«الفراشة والسمندل» هو عرض مسرحي كتبه مصعب الصاوي مقتبسًا عن قصيدتين للشاعر السوداني محمد عبد الحي: «السمندل ملك النهار» و«الفراشة ملكة النهار»، وأخرجه حاتم محمد علي، و يجسد العرض شخصيات رمزية تمثّل الصراع بين الجسد والروح، الحياة والفناء، عبر ثلاث شخصيات رئيسية.

المغامرة الأولى في جرأة النص تكمن في إعادة كتابة جزء من المشروع الشعري المعقد والعميق لمحمد عبد الحي في قالب مسرحي، قصائده تتميز بتعدد المرجعيات والرموز، وغزارة التناص، مما يجعل تحويلها إلى عرض تحديًا كبيرًا.

استخدم المخرج الرموز الشعرية (الفراشة، السمندل، التفاحة/الثعبان) لتحويلها إلى تجليات جسدية درامية، وتنوع التعبير الجسدي والموسيقي أسهم في تجسيد «بلاغة مشهدية» توازي «بلاغة النص»

يخلص الكاتب إلى أن عرض «الفراشة والسمندل» هو مغامرة مسرحية شعرية أصيلة، مزجت الشعر بالجسد، والرمز بالعرض، والرؤية الفلسفية بالأداء التعبيري، فجاءت تجربة جمالية مغايرة تستحق الإشادة.

العرض المسرحي «الفراشة والسمندل»، أعده الكاتب السوداني مصعب الصاوي، عن قصيدتين للشاعر السوداني محمد عبد الحي 1944-1989، هما «السمندل ملك النهار» و«الفراشة ملكة النهار»، وأخرجه المخرج حاتم محمد علي، وشارك بالتمثيل فيه نادية غانم في دور «الفراشة»، وحسن عثمان في دور «السمندل»، وعادل فطر في دور «التفاحة/الثعبان»، وفي التأليف الموسيقى الموسيقار عاطف صالح، وفي الغناء الفنان سليمان محمد سليمان، وفي السينوغرافيا الفنان موسى الأمير.

أصالة المغامرة:

أولًا: تكمن أصالة المغامرة في محاولة الاقتراب من عالم الشاعر محمد عبد الحي وانتخاب بعض قصائده أو أجزاء منها وإعادة كتابتها برؤية مسرحية، وذلك لأن الشاعر محمد عبد الحي مثل قلة من شعراء العالم يمتلكون مشروعاً شعرياً يآزر بعضه بعضاً، ويفضي بعضه إلى بعض، لذلك فهو محكم البناء متداخل الأنسجة، وفوق ذلك محروس بترسانة نظرية قوية تتمثل في كتابات عبد الحي النقدية الكثيرة، إذاً فالانتخاب مستحيل وممكن في نفس الوقت. مستحيل لعمق المشروع واتساعه وتداخله وغموضه على مستويات الأسلوب والمضامين والرؤية القائمة على تعددية المصادر وغزارة التناص فهو يومي، وكوني، في آن واحد، وظاهري، وباطني، ورومانسي، وذاتي، وموضوعي، وواقعي، وعدمي، وثوري، وطقوسي، وتوحيدي، في الوقت نفسه. باختصار عالم مختلف ثر يتوسل الانسجام المستحيل «أصلي بلسان وأغني بلسان»، وممكن لأنه مثله مثل أي مشروع له صفاته وله مرتكزاته وله عناصره المهيمنة، وله مفاتيحه التي جميعاً مودعة في مواهب القارئ الحصيف.. القارئ الذي يكتب له محمد عبد الحي. ونعتقد أن الصاوي واحد من هؤلاء القراء، ذلك لم يكن عشوائياً أن يلج إلى عبد الحي من باب ديوانه «حديقة الورد الأخيرة»، فيختار قصيدة السمندل ملك النهار ممسكاً بواحدة من أهم مداخل عالم عبد الحي الشعرية ورؤياه (السمندل، أو أسطورة السمندل) فهي إضافة إلى أنها موجودة في هذا الديوان فإننا نجد لها إشارات في قصيدة «العودة إلى سنار» إحدى الأعمدة المركزية في مشروعه، ونجدها في ديوانه الثاني الذي يحمل اسم (السمندل يغني)، والسمندل كما يقول الناقد الخلّاق الأستاذ عبد المنعم عجب الفيا في دراسته القيمة «نحو رؤية منهجية لقراءة شعر محمد عبدالحي» المنشورة في مجلة كتابات سودانية العدد التاسع يقول: (والسمندل مثله مثل طائر الفينيق يجدد شبابه بالاحتراق في النار، وهو من اكتشافات عبد الحي، وقد انفرد بتوظيفه دون غيره من شعراء الحداثة)، كذلك يختار الصاوي في المشهد الاستهلالي للنص مقطعاً من قصيدة العودة إلى سنار هو:

(من ترى يمنحني
طائراً يحملني
عبر شمس الملح والريح العقيم
لغة تستطع بالحب القديم)

في إشارة ذكية إلى حضور «إسماعيل صاحب الربابة» ففي عالم عبد الحي الشعري ورؤياه يتآزر إسماعيل والسمندل ويتحالفان على طريق الاحتراق بالنار.. نار العشق الإلهي.. تلك النار التي تمنح الخلود وامتلاك الذات للسير على طريق الفناء والتوحد والانسجام، فيصبح السمندل كأنه إسماعيل وإسماعيل كأنه السمندل، وكلاهما يمثل حلم الشاعر ورؤياه معاً ثم يأتي الاختيار الثالث للمعد من قصيدة (الفراشة ملكة النهار) من نفس الديوان «حديقة الورد الأخيرة»، وللفراشة مثلما لإسماعيل والسمندل علاقة بالنار معروفة، فهي أيضاً تبحث عن خلودها وجمالها وتوهجها بالاحتراق في النار عمداً، وهي أيضاً تطير كما يطير السمندل وكما يطير إسماعيل وكما يحلم الشاعر أن يطير بحثاً عن هويته اليومية والكونية والوجودية، عن طريق النار التي هي واحدة من أهم مفردات القاموس الشعري لمحمد عبد الحي عبر موجوداته - السمندل وإسماعيل - وعبر مفرداته التي يتشكل منها قاموسه الشعري وتتشكل منها رؤياه للعالم التي تتلخص في أننا لا محالة عائدون إلى مكان ما بمعناه الحقيقي أو بمعناه الرمزي.

هنا وفي مجرى تدليلنا على قدرة المُعد على انتخاب صور تحتشد بمفردات أساسية في قاموس عبد الحي تقول الفراشة في النص المعد:

(أوحد الطاووس والحجر
والنجم والينبوع والشجر
والبذرة الأولى ولحم آخر الثمار
ومطلق الأرض وشكل النار
والعنصر الخامس بالخمرة والمخمور والخمار
والحية المسحورة بالطفل
والشحاذ بالأميرة
وحين تدخل في حلمك الأخير يا سمندل
ماذا تراك سوف تفعل)؟
أو عندما تقول الفراشة:
(بالأسماء
نستدعي العالم من فوضاه
البحر.. الصحراء

الحجر.. الريح.. الماء
الشجر.. النار.. الأنثى
والظلمة والأضواء).

ثانيًا: تكمن أصالة المغامرة في أن يختار مخرجاً مبدعاً هو حاتم محمد علي وللذين لا يعرفونه نقول: هو من جيل المخرجين الذين يتوفرون على معرفة متنوعة والتزام، وهو عضو مؤسِس في «جماعة مسرح شوف» ذات الاتجاه الطليعي في صناعة العرض المسرحي، كما إنه خريج كلية الموسيقى والدرما وصاحب بصمات واضحة في تجارب مسرح «الفرق والجماعات»، التي تراهن على أشكال العرض المسرحي الجديد، على أن الذي يهمنا أكثر هنا هو التذكير بتجاربه العديدة والمتنوعة في تحويل القصائد إلى عروض مسرحية فقد أخرج قصيدة «في ما يخص البحر» للشاعر عثمان بشرى وأخرج قصيدة «الرحيل على صوت فاطمة» للشاعر محمد محي الدين وغيرهما.. تكمن أصالة مغامرته وتتجلى في أنه اختار هذا الكون الشعري الوسيع المعقد البديع المكبسل «من كبسولة» ليحوله إلى متواليات مشهدية إلى عرض وفي التوقف عند محاولته الانتقال بهذا الكون الشعري بأبعاده تلك من جغرافيا الورقة إلى جغرافيا الخشبة «مكان العرض»، نرى ضرورة الإشارة إلى فرضية، أن منطق الشعر غير منطق المسرح، وأن الصور التي تتوالد بفعل القراءة تختلف عن تلك التي تتوالد بفعل المشاهدة، وأن القارئ كطرف مشارك في ما يقرأ يختلف عن المشاهد كطرف مشارك في ما يشاهد، فالأول «القارئ» غالباً ما يكون وحده ولديه براح في الزمان والمكان والثاني «المشاهد» بالضرورة موجود وسط مجموعة «المشاهدين» وزمانه ومكانه محددان سلفاً، بزمان ومكان العرض، وأن فضاء الورقة يختلف عن فضاء الخشبة. عليه ولكل هذا نرى أن المخرج قد وفق كثيراً وهو يبني عرضه على مسار يمضي في الاتجاه المعاكس لمسار النص.. فإذا كان النص يتحرك من الكوني إلى اليومي فإن العرض يتحرك من اليومي إلى الكوني.. من العبارة إلى الإشارة مع ملاحظة أن المسارين وكل في اتجاهه محكومان بجدلية تتيح (التزامن) في حركية المسار فإن كان في النص «فراشة» و«سمندل» ومسخ «شرير» ففي العرض «امرأة» وفي نفس الوقت «فراشة»، و«رجل» وفي نفس الوقت «سمندل» وتفاحة «أفعى» وفي نفس الوقت «مسخ»، لذلك ففي العرض وبما أن مساره في الاتجاه المعاكس لمسار النص يصبح المجاز هو المرأة والحقيقة هى الفراشة، ويصبح المجاز هو الرجل والحقيقة هى السمندل، ويصبح المجاز هو المسخ أو الشيطان، والحقيقة هى التفاحة «الأفعى».. هذا المنطق الذي يحكم العرض في مساره المعاكس يقول قوله الأخير بابتداع بلاغة مشهدية توازي بلاغة الصورة الشعرية ولا تكونها، لذلك عمد المخرج على تعديل فضاء اللعب «الخشبة» بتوظيف جسديَ الممثل والممثلة بأشكال تعبيرية متنوعة، كتعبير الممثل الآخر بجسده كما في حالات استعراض الاختلاف، والغربة بين الرجل والمرأة أو حالات التعبير عن الرغبة في التوحد أو مثل تلك الحالات التي تغيب فيها العبارة تماماً، ويصبح الجسد هو الحرف وتشكله هو الكلام. أيضاً عمد المخرج إلى توظيف موسيقى شفافة وشاعرية صممت خصيصاً بطريقة تجعلك تحس أنها لا وطن لها ولا هوية محددة لها وكأنها موسيقى لكل الوجود ولكل الإنسانية، ولعل صوت المغنى «السمندل» وهو يؤدي المطلع المأخوذ من قصيدة (العودة إلى سنار) الذي أشرنا له سابقاً يؤكد بعضاً مما ذهبنا إليه لأن عبره ومثل انسراب الماء أو الضوء ينسرب «أورفيوس»، فالسمندل بجيتاره هو إسماعيل صاحب الربابة وإسماعيل هو «أورفيوس»، ليضيف العرض وهجاً لاكتماله، فأورفيوس مختبئ في رؤيا عبد الحي التي أصلاً تنهض على تعددية المصادر وغزارة التناص كما أشرنا، كما أن حضوره أي أورفيوس يدعم مسار العرض الذي جاءت نهايته تختلف عن النهاية الموجودة في النص التي فيها يقتل السمندل الفراشة وتقتل الفراشة السمندل، يقتلان بعضهما قتلاً طقسياً.. فالنهاية جاءت في العرض وكأن كليهما يتلاشى في الآخر.. كأن كليهما يعود إلى هويته أو يسعى لهذا.. يحدث هذا وفضاء الخشبة من بداية العرض حتى نهايته يضج بكل ما هو جميل وغامض ومعبر.. المقبرة، والغابة، والحديقة، والموسيقى، وتعبيرات الجسد، باختصار كل عناصر العرض.

إنه حقاً.. أي هذا العرض.. مغامرة ولكنها مغامرة جديرة بالإشادة.. وأخيراً تأتي تحيتنا للممثلين صافية.

إشاراتان:

الأولى: قدمت العرض مجموعة (إلفة وإلفة) وهي من البرامج التي أنجزتها جماعة مسرح شوف ذات يوم، وقد قدم العرض ضمن دورات مهرجان أيام البقعة المسرحية مارس 2002، وقد حازت الممثلة «نادية غانم» على جائزة أحسن تمثيل نساء، وحاز الممثل حسن عثمان على جائزة أحسن تمثيل رجال مناصفة عن دوره في مسرحية أحلام الزمان.

الثانية: هذه المقالة استفادت كثيراً من دراسة الأستاذ عبد المنعم عجب ألفيا الموسومة بـ «نحو رؤية منهجية لقراءة شعر محمد عبد الحي».

إليـــــه

نضال علي

حين تصبح الدموع هي المسافات.. والطريق
الذي يربطنا ببعضنا ويبعدنا عن الغياب
أكتب إليك بالكثير من الدمع، أضع الوجع
نصب عيني وأخط الرسالة
وبعد....
متى نلتقي؟؟؟؟
والمسافات تكبر كالغرق والحب والفراق،
الحزن والدموع قلبينا
الوقت غارق في شؤونه والصباحات تلتهم
الأحلام والحب عالق بين الدموع والأقدار المؤجلة
الدموع بقايا ابتسامات انكسرت
هي ترجمة الزمان القاسي الذي دار علينا..
والأيام التي طحنت القلوب والحواس..
فكم يلزمنا من الدموع لنخفي أو لنحكي
جرحًا..
وأمام كل الأوجاع رغبة في البكاء..
وأقسى الدموع تلك التي تختار الاحتفاظ
بها...
كم ابتلعنا دموعًا لا نريد أن نحتسيها في
حضرة أحد،
وفي خلوتنا نبكي بيأس..
وكم هي متعبة دموع ليالي الشتاء القاسية،
حين لا نملك بضاعة غير الدمع ونسبح حتى
الغرق في ملوحته..
فالمدن نسيت الضوء
وصرنا كالباعة المتجولين (أحلام للبيع) على
ضوء الدموع
صوت الدمع في وطن متهدج بالأنين...
والنزيف الخافت والخراب...
والمدن الثكلى ترتدي السواد حين حلقوا
رأسها من سنابل الفرح...
ودمعت أشجار الصنوبر حين عرفت طريق
اليباس
دمع مع الألم
ودمع على الأمل
دمع على الفأس وعلى الشجر
ودموع على الحب الذي صار رمادًا في أهازيج
العاشقين
الأمواج البشرية تصرخ غربتها بحرقة
المعذبين في الوطن
الأرض تضيع... الأحلام تشيخ.. القلوب تختمر
ونصحو كل يوم على وقع خيباتنا المتكررة
وعتمات البيوت تبكي أضواء المدن
وتخبرك الشوارع أنك تصارع الوهن وحدك لا
شريك لك
فتدمع وجع الحياة
الغربة هنا..
الغربة وطن
دموع اليتامى، دموع الأرامل
الشمس التي باعت أسوارها..
وما أقسى دموع الرجال ملامح غطاها غبار
الضياع....
دمعنا حتى انطفأت عيون القمر
وصرنا أشباه موتى ومقابر تثرثر عن الحرب
والدمار
تصدعت الأرض... دمعت السماء
وذاك الشق ازداد اتساعًا
والدموع تتساقط في بئر الجيوب الفارغة
ودمع الجوع كافر لا يؤمن إلا بالخبز.. الحافي
فخذوا خزانة الدمع لا حاجة لنا بثروة الألم..
ازرعوا على قبور الشهداء ورود الوداع البيضاء
واسقوها بالدمع الوفير
فربما نلتقي ذات يوم..
على هضبة الغفران..
أو لربما على دربهم نسير
#هاش_تاق
لا تعتب على الدموع
لم يعد يحزننا الموت
أصبحت تحزننا الحياة

Nidal_Ali#

شعرك قصير وو.. وذاك السوداني هل منه إصدار تاني؟!

رندا عطية *

«إن كان شعرك قصير، فهذا ليس بالشيء المهم، المهم هو التسريحة التي تختاريها لشعرك وشكل القصة التي تقصينها له».

الحديث أعلاه، اخبرني به ذاك السوداني الأخ والصديق الغالي، الذي قال لي إنه وجه حديثه أعلاه لـ السيدة زوجته عندما أحس بها تخجل من شعرها القصير وتستحي.

وإنه من بعد حديثه هذا معها، أحضر لها كتاب يحتوي على صور لـ قصات شعر وتسريحات رائعة وجميلة خاصة بالشعر القصير.

وعلى ضوء اكتشافكم أعزائي القراء وعزيزاتي القارئات، إن ذاك السوداني ذو التفكير المتقدم، والحس الإنساني المتفهم، لم يكتف بتعزيز ثقة زوجته بنفسها، بقوله لها إن قصر شعرها شيء غير ذي بال، بل إنه أخذ بيد شريكة حياته في طريق اكتشاف جمال شعرها القصير، على ضوء اكتشافكم هذا أعزائي وعزيزاتي ستتوصلون لحقيقة أن ذاك السوداني حطم الصورة النمطية للمرأة المختزلة في المقولة البائسة البالية التي تفقد كثيرًا من النساء ثقتهن بأنفسهن تلكم المقولة القائلة: «إن الشعر الطويل علامة من علامات جمال المرأة»، إن ذاك السوداني جعل من هذه المقولة التي تقلل من شأن وقيمة ومكانة المرأة كـ إنسان ذي عقل أمام نفسها أولًا قبل أن تكون أمام الآخرين، قد جعل من مقولة: «إن الشعر الطويل علامة من علامات جمال المرأة» هباءً منثوراً وو.. وذاك السوداني هل يوجد منه إصدار تاني؟!!

* عنقاء النيل السبرانية
randaattia171@gma

رؤية صمود

أقامت الأمانة العامة لـ«تحالف صمود» لقاء تشاوريًا مع عدد من الإعلاميين يوم السبت الماضي، قدم فيه كل من الأمين العام صديق الصادق المهدي، والمهندس عمر الدقير، والأستاذ بابكر فيصل، الرؤية السياسية وشرحها. أدارت اللقاء الإعلامية إسراء زين العابدين.

أين الـ 400 ألف

تقول الأنباء إن عدد الجالسين لامتحانات الشهادة السودانية للدفعة المؤجلة 2024، بلغ حوالي 200 ألف طالب وطالبة، بينما في العام 2022 تقول التقارير إن العدد كان قرابة 600 ألف من الطلاب. أين ذهب 400 ألف من أبناء السودان؟

الحلو وكتاب جديد

دفع السيد إمام الحلو، رئيس لجنة السياسات بحزب الأمة القومي، إلى دار النخبة للنشر والتوزيع كتابه الجديد (حزب الأمة القومي المؤتمر العام السابع والطور التحديثي الرابع). ومن المتوقع أن يكون بين يدي المهتمين في منتصف يوليو 2025.

الإعيسر الوزير السابق

تساءل عدد من المراقبين عن استمرار نشر نشاطات الوزير السابق في صفحة الوزارة، وهل هذه سنة جديدة في حكومة الأمل، أم أن الإعيسر ممسك بباسورد الصفحة؟

رحيل الإعلامي يوسف هندوسة

وُوري الناشط المجتمعي والإعلامي السوداني يوسف هندوسة الثرى في إمارة عجمان يوم الأحد الماضي، وسط جمع غفير من السودانيين الذين ودّعوه بالحزن والأسى. وكان هندوسة توفي غرقاً خلال نزهة بحرية جمعت عدداً من زملائه ومعارفه، في حادثة ضجت بها وسائل التواصل الاجتماعي، مستذكرة مسيرته الإنسانية والإعلامية المؤثرة.

الكاتب محمد خلف يناقش المتن الروائي للطيب صالح في أولى إصداراته

أفق جديد

يستضيف مقهى «عندليب الثقافي» بالقاهرة يوم الخميس المقبل 3 يوليو 2025، بالشراكة مع «دار المصورات للطباعة والنشر»، إطلاق كتاب «المتن الروائي المفتوح.. فن القص السردي عند الطيب صالح» للكاتب والباحث والناقد الأدبي محمد خلف، وهو بمثابة الكتاب الأول له.

يعرف الكاتب والناقد السوداني المقيم بالمملكة المتحدة، محمد خلف في الأوساط الثقافية والأدبية السودانية بمقالاته الرصينة والحصيفة في حقول البحث الثقافي والنقد الأدبي، حيث نشر مئات المقالات في الصحف والمواقع الإلكترونية والمجلات المحكمة.

ويأتي الكتاب، الذي يشتغل على المتن الروائي للطيب صالح، في 224 صفحة من القطع المتوسط، وصدر حديثًا عن معهد إفريقيا، جامعة الدِّراسات العالميَّة، بإمارة الشَّارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وشمل الكتاب على تمهيد كتبه الناقد المعروف، عبد اللَّطيف علي الفكي، بالإضافة لمقدِّمات - مقالات موازية، لكل من الكاتب والباحث الدكتور محمَّد عبد الرَّحمن حسن «بوب»، والكاتب والناقد الدكتور أحمد الصَّادق بريز، وترجمات للكاتبة والمترجمة ليمياء شمت.

في الفصل الثاني من الكتاب الذي جاء بعنوان عريض: الخطاب الجماعي، وعنوان فرعي صغير: مقدمة لتدوين الصمت وحالات المشافهة العابرة، والمكتوب في أغسطس من العام 1992، وهو رسالة مطولة لصديق الكاتب علي الماحي؛ لخص خلالها محمد خلف «مشروعه الكتابي» في ثلاثة أهداف سماها بمقاومة النزعة الإجمالية الهيغلية، متفاديًا الدوران حول مركزية إثنية ما، وإنتاج الخطاب الرشداني، رغم كل الإعاقات الابمستولوجية المتوقعة. يقول خلف: إنه وضمن هذه المهام، يحاول جاهدًا مطالعة الجسد والقيام بقراءة واسعة للانتلجنسيا السودانية، عبر فروع معرفية متقاطعة: العلوم السياسية، والأدب، والتاريخ والانثروبولجيا.

ولد محمد خلف العام (1952)، وتخرج في جامعة الخرطوم، كلِّيَّة الآداب العام (1976).

فصل تعسفيًا من (الخطوط الجوية السودانية) مطلع تسعينيات القرن الماضي في عقابيل قبضة الإخوان المسلمون الحكم في البلاد، فهاجر للمملكة المتحدة، ويعد من الجيل الأول لما بعد الكلونيالية الذين اجترحوا مقاربات سودانية - سودانية في الكتابة والنقد الأدبي المحكم.

يقول الدكتور أحمد الصادق بريز، إن الاختلاف الذي

ظل يميز كتابة محمد خلف عن آخرين وأخريات هو بصمته التي يكتب بها في صمت منذ ثمانينيات القرن الماضي. وهذه المرة الأولى التي ينشر فيها كتابًا، خاصة عن الطيب صالح. ويضيف «ظللت سنوات أتابع أعماله، حيث أنني لم التقيه مطلقًا حتى هذه اللحظة، واكتشف تقاطعاتي مع هذه الكتابة الاستثنائية، لغته النقدية المختلفة، التي حقق من خلالها فتوحات وكشوفات في كتاباته، لكل ذلك كانت كتابتي عن حب وعلى أساس ما أسميته بـ»صلة القرابة المعرفية»، كتابة في موازة تلك الفتوحات، ذلك إن استطعت بالفعل الوصول إلى ذلك. هنالك أمر أخير، ربما يكون به كتير من الانفعال، الرجل يكتب في صمت وهدوء عظيمين، إطلالاته نادرة جدًا -بعيد عن أضواء المدينة إن شئت- والأهم أن الرجل نجا من «آفات الدنيا لأنه كان من العارفين» على قول أبي حيان التوحيدي.

تعد إضاءات محمد خلف، في نصوص الطيب صالح متوغلة في متون الطيب السردية وقراءتها بوعي نقدي مختلف. انطلاقاً من فكرة النص المفتوح، إضافة إلى ذلك فتح آفاق نقد النقد- حول بعض ما كُتب عن الطيب في المحيطين العربي والأفريقي بالاضافة إلى العالمي- وكيف أن الكثير منها عجز عن التوغل في نصوصه؛ لذا جاء الاحتفاء هنا بجمع نصوص نقدية عظيمة غابت عن المشهد لعقود، لكاتب ومفكر وناقد مهم، مثل محمد خلف.

بطولة النخبة تشتعل..

الهلال والمريخ في سباق اللقب تحت ظروف استثنائية!

ملخص

أفق جديد – عطبرة

أعلن الاتحاد السوداني لكرة القدم، عبر لجنته المنظمة للمسابقات، رسميًا انطلاق مرحلة النخبة من الدوري السوداني الممتاز في الرابع من يوليو ، على أن تُقام مبارياتها في مدينتي عطبرة والدامر بولاية نهر النيل، تحت رعاية كاملة من حكومة الولاية بقيادة الوالي الدكتور محمد البدوي عبد الماجد أبو قرون.

جاء هذا القرار بعد زيارة ميدانية قامت بها اللجنة المنظمة للمسابقات، شملت تفقد البنى التحتية الرياضية في الولاية، بما في ذلك استادي عطبرة والدامر، ومرافق التدريب والإقامة. وأكد نائب رئيس الاتحاد ورئيس لجنة المسابقات، طارق عطا صالح، أن الولاية أصبحت منصة آمنة ومستقرة لاستضافة أكبر مسابقة كروية في البلاد، مستندًا إلى النجاح التنظيمي الذي حققته خلال استضافتها للدوري العام المؤهل للممتاز.

الهلال يبدأ التحضيرات

دخل فريق الهلال معسكره الإعدادي في مدينة الدامر صباح امس الأول ، استعدادًا لمشاركته في دوري النخبة، حيث سيخوض أولى مبارياته أمام الميرغني كسلا في الجولة الافتتاحية يوم الجمعة المقبل.

وجاءت البداية بحضور اللاعبين المحليين فقط، في انتظار اكتمال قائمة الفريق بوصول المدير الفني خالد بخيت من الدوحة، بالإضافة إلى الثلاثي الدولي محمد عبد الرحمن، محمد أحمد إرنق، ووالي الدين خضر (بوغبا)، الذين أنهوا فترة اجازتهم في تنزانيا.

لكن التحضيرات لم تخلُ من صعوبات ، حيث قرر مجلس إدارة الهلال منح لاعبيه المحترفين حرية اتخاذ القرار بشأن العودة للمشاركة في الدوري، في ظل استمرار الأوضاع الأمنية غير المستقرة في السودان. وأوضح النادي أنه وفر للاعبين جميع التسهيلات، بما في ذلك تذاكر السفر والحجوزات الفندقية، مع تقديم تطمينات بشأن الوضع الأمني، إلا أن القرار النهائي تُرك لكل لاعب دون أي ضغوط.

المريخ يراهن على الجاهزية الكاملة

من جهته، بدأ نادي المريخ معسكره الإعدادي بقوة، حيث أجرى أولى تدريباته عصر السبت على ملعب "أم الطيور" بمدينة عطبرة، بقيادة المدرب العام محسن سيد، وسط حضور مكثف من اللاعبين الأساسيين، يتقدمهم القائد أمير كمال، إلى جانب محمد الرشيد، جرس كافي، حسن صابون، أحمد بيتر، وعبد الباسط.

وشهد المعسكر انضمام الرباعي رمضان عجب، أحمد طبنجة، أواب عنتر، ومحمد تية (أسد)، الذين وصلوا مساء الجمعة إلى ولاية نهر النيل، بعد تأخرهم عن بداية المعسكر، كما إنضم لمعسكر الفريق مدرب الفريق المصري شوقي غريب وطاقمه المعاون برفقة نائب مدير الكرة إبراهيم ابدرق بالإضافة إلى الثلاثي المحترف النيجيري فاتكون والمالي فادي كوليبالي والعاجي قباني.

ويستعد المريخ بقوة لمواجهته المرتقبة أمام سيد الأتيام في الأسبوع الأول من المسابقة، حيث يسعى الفريق لتحقيق انطلاقة قوية تعزز حظوظه في المنافسة على اللقب، لا سيما في ظل الاستقرار الفني والإداري الذي يعيشه الفريق مقارنة ببعض الأندية الأخرى.

من المتوقع أن تشهد بطولة دوري النخبة منافسة شرسة بين الغريمين التقليديين الهلال والمريخ، في ظل الظروف الاستثنائية التي تعيشها الكرة السودانية نتيجة الحرب الدائرة في البلاد.

ورغم التحديات الأمنية واللوجستية، إلا أن إصرار اتحاد الكرة والأندية على استمرار النشاط الكروي يعكس رغبة الاتحاد في الحفاظ على الروح الرياضية، وتقديم مساحة من الفرح لجماهير الكرة السودانية.

في حياة 30 يونيو
فـــي ساحـــة الاعتصـــام

بابكر الوسيلة

في ساحة الاعتصام..
ينام الفتى في الحصى
ملء قلبِ الفتاةِ وروحِ الغمام..
– كيف حالُ قلبي معكَ؟
– تمامٌ تمام
(تحكُّ على الطِّين في قلبه كي تطمئنَّ على الاقتسام)

في ساحة الاعتصام..
تقول عجوزٌ: وُلدتُ هنا من جديد..
وها أنذا لا أزيد..
عن العمر عام.

في ساحة الاعتصام..
تُلبِّي الحقولُ نداءَ أناشيدها..
فتُقسم وردةُ أنَّها رأتْ ما رأتْ؛
من بين هذي الرُّسوم النَّدى،
وهو يَطيرُ إلى موجةٍ كي تُبلِّلَ
صيفَ الصِّيام.

في ساحة الاعتصام..
السَّريرُ المُهفهِفُ في اللَّيل
برائحة الأصدقاءِ البعيدين،
بهمسِ المُلاءةِ في الحوش،
وشوقِ المسام.

في ساحة الاعتصام..
ضَوءٌ يُغنِّي المدى في وجه طفلٍ،
وبنتٌ - أمام الرِّجال- تُقوِّي السِّهام.

في ساحة الاعتصام..
قهوة الحبِّ بالزَّنجبيل،
وشاي المغارب والذِّكريات،
ضحكة الجار لزوجته؛
وهو يَعضُ على وجنتيها بهسيسِ الكلام.

في ساحة الاعتصام..
مرايا تجلب الضَّوءَ من النِّيل..
عيونٌ تُفتِّشُ عن وجهها وهْو غائب..
زوايا الحبائب..
وروحٌ يَسيل..
ودمعٌ يُغالِب..
وربِّ الغرام.

في ساحة الاعتصام..
يَتجوَّل أزرقُ البحرِ بكفٍّ أبيضه
في حواشي اللُّغات..
يُحيّي الَّذين استضافوا الخريفَ
على سهله،
والَّذين استفاقوا فِدى أهله،
والَّذين قاموا بهذا الغمام.

في ساحة الاعتصام..
الشُّهداءُ يُغنُّون خلف المتاريس.. آهِ المتاريس
وهي حدُّ التَّضاريس..
بين ماضي الجفاف على وجه طفلٍ؛
ومستقبلُ دفء هذا الزِّحام،
وهي آخِرُ ما نَملكُ من قلعةٍ للمحبَّة للدِّفاع
عن النَّهر فينا،
وهي آخِرُ ما نسألُ الأرضَ عنه؛

تصوير: ساري عمر

حين تنوي القيام.

في ساحة الاعتصام..
يُعلِّق قلبُ الفتى
صورةَ صاحبهِ على صدرهِ
كي ينام
– يقوم الشَّهيدُ خفيفاً من صدر صاحبهِ
كي يَردَّ عليه السلام.

في ساحة الاعتصام..
يَخلَع الفتى نابَهُ من مُتُون التَّفاوض،
ويكسِرُ حنك اللُّغة- التَّمارُض؛
وهو يستلُّ سيفَ أفعالهِ من جفير الكلام.

في ساحة الاعتصام..
قطارٌ يُعطبرُ أشواقَه؛
ينام الزَّمانُ على دربه؛
لكنه لا ينام.

في ساحة الاعتصام..
هذي الصَّبيَّةُ خطوتُها؛
تُعلِّم الأرض كيف الجلوس على حقلها
وكيف يكون القيام.

في ساحة الاعتصام..
الأناشيد مرفوعة الرَّأس
قمرٌ جالسٌ في عزْم مُدَّاحِه،
والنَّاسُ ناس..
والطَّار طارَ بأرواحه،
والكأس كأس؛
حين يُماوجني بين الجموع الظَّلام.

في ساحة الاعتصام..
أتذكَّرُ عبدَ العظيم وأصحابَه
(فإنِّي أستريحُ بذِي وهذا،
وأتعب بالإناخة والمُقام)

في ساحةِ الاعتصام..
هذا المدى واسعٌ
فإلى الأمام
إلى الأمام
إلى الأمام.

أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
30 يونيو 2025
20 محرم 1447هـ
العدد 34

30 يونيو

في ساحة الاعتصام..
يَتجوّل أزرقُ البحرِ بكفِّ أبيضه
في حواشي اللُّغات..
يُحيّي الّذين استضافوا الخريفَ
على سهله،
والّذين استفاقوا فِدى أهله،
والّذين قاموا بهذا الغمام

تصوير: ساري عمر